جامعة زيان عاشور– الجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية

مطبوعة خاصة بمقياس :

الدولة العثمانية

دروس موجهة إلى طلبة السنة الثانية تاريخ عام

السداسي: الرابع الرصيد: 01 المعامل: 01 التقييم: امتحان

إعداد : الدكتور الشافعي درويش

السنة الجامعة : 2020/ 2021

السداسي: الرابع

عنوان الوحدة : التعليم الاستكشافية

المادة: الدولة العثمانية

محتوى المادة :

-أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية

-النظام السياسي للدولة العثمانية

-الجيش العثماني (الانكشارية و القوات البحرية).

-المجتمع والثقافة في الدولة العثمانية

-التوسع العثماني في المشرق العربي

-التوسع العثماني في المغرب العربي

. الإدارة العثمانية في البلاد العربية

. المسألة الشرقية

. التنظيمات العثمانية

-عصر الانحطاط والضعف

-عهد السلطان عبد الحميد

-نهاية الدولة العثمانية

مقدمة :

تعتبر مادة الدولة العثمانية من امتع الموضوعات التي يمكن للباحث الخوض فيها ،كما أن المادة التاريخية المتعلقة بهذا المقياس غزيرة ،واقصد بذلك ما كتبه المؤرخون المشارقة والأتراك دون تمييز .لكن هذا بدوره لا يقلل من قيمة الباحث في هذا المقياس أو الدارس له على حد سواء ،بقدر ما يزيد من صعوبة مواضيع المقياس ومتعته من جهة ،والمسؤولية على الباحث من جهة أخرى .

على الرغم من أن المادة العلمية غزيرة في هذا المقياس ،مما يسهل على الأستاذ الباحث الإلمام به ،وتقديمه للطلبة كمحاضرات ،إلا أن ذلك يخلق له مشكل من جهة أخرى ،يجعله يغرق في تلك المادة العلمية ،ويستهلك وقتا أطول من أجل فرز المادة المهمة ،والمصنفة وفق البرنامج المسطر من قبل الوزارة الوصية ،إضافة إلى أن الكثير من المصادر والمراجع ،تتضمن في طياتها حشوا كبيرا ،عوض التركيز على المادة العلمية الهامة .

ومادة الدولة العثمانية مخصصة للسنة الثانية تاريخ عام (ل م د) ،وهي مادة استكشافية تدرس خلال السداسي الرابع ،ومواضيع هذه المادة تبدأ بمرحلة ظهور الدولة العثمانية وتأسيسها ،مرورا بمرحلة قوتها ،ومرحلة الفتوحات العثمانية ،وإلى غاية سقوط الدولة العثمانية وإنهاء الخلافة العثمانية في سنة 1924م .ويشمل هذا المقياس عدة مواضيع كما هو موزع حسب البرنامج المسطر من قبل وزارة التعليم العالي .

وقد حاولت الإلمام بتلك المواضيع حتى تقدم للطالب على شكل محاضرات سهلة ،يمكنه استيعابها أثناء المحاضرة ،ذلك أن الأحداث التي يتناولها المقياس غزيرة وكثيرة ،لا يمكن

بطبيعة الحال الإلمام بها كلها في محاضرة واحدة أثناء الدرس المخصص له ساعة ونصف (01 سا و30 دقيقة) ،أو خلال الخمسة عشر (15) محاضرة ،والمخصص لها (45 سا) خلال السداسي الرابع للسنة الثانية تاريخ عموما ،في الحالة العادية لسير الدروس.

وبطبيعة الحال ستكون هناك نقائص لهذا العمل ،مثل ما له من صعوبات ،وهذه سيتم تداركها أثناء المحاضرات الفعلية عند التدريس ،من خلال المناقشات والأسئلة ،والإشكالات ،التي تطرح بطبيعة الحال من طرف الطلبة أثناء الدرس .

المحاضرة الأولى : أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية :

الإشكالية : إلى ما تعود أصول العثمانيين ؟وكيف ظهرت الدولة العثمانية ؟وماهي أهم مراحل تأسيسها ؟وما هو الدور الذي لعبته على الساحة الدولية ؟ .

1- أصل العثمانيين:

تعتبر الإمبراطورية العثمانية من أعظم الإمبراطوريات في التاريخ ،وأكبرها وأطولها عمرا .إذ شملت معظم الأراضي ،التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية الشرقية ،وأجزاء من شمالي البلقان ،والشاطئ الشمالي للبحر الأسود ،وأجزاء من قارة أسيا (البلاد العربية) ،وأجزاء كثيرة من أفريقيا .وقد استمرت الإمبراطورية العثمانية من سنة 1300م إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ،وتحديدا إلى غاية سنة سقوطها في 1924م .

وتشغل الدولة العثمانية حيزا كبيرا في الدراسات التاريخية ،سواء في العالم الإسلامي ،أو في العالم أجمع ؛فقد امتدت فتوحاتها إلى ثلاث قارات :آسيا وأوربا ،وأفريقيا .وغدت دولة أسيوية وأوربية وأفريقية ،وكانت جيوشها أكبر الجيوش اعدادا ،وأحسنها تدريبا ،وأعظمها تسليحا ،وأكملها تنظيما .عبرت جيوشها البحر من الأناضول إلى أوربا عام 1356م في عهد السلطان أورخان ،ومضت تكتسح أقاليم مسيحية أوربية ،فاستولت على بلاد اليونان بما فيها شبه جزيرة المورة ،وبلغاريا ،ورومانيا ،والصرب ،والمجر ،وترونسلفانيا ،والبوسنة ،والهرسك ،وألبانيا ،والجبل الأسود ،ومضت جيوشها حتى بلغت مشارف فيينا عاصمة النمسا في أواسط أوربا [1].

---

[1] الشناوي عبد العزيز محمد: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط1 ،القاهرة 1980 ،ج1 ،ص 9 .

لقد كانت الدولة العثمانية هي أول دولة إسلامية في التاريخ الأوربي ؛تصل بقواتها الجرارة إلى هذه الأراضي الأوربية ،وكان الوجود الإسلامي العثماني – العسكري والسياسي– في هذه الأقاليم الأوربية حقيقة واقعة .وقامت الدولة العثمانية بدور هام في نشر الإسلام في أصقاع شتى من هذه الأقاليم الأوربية .ويرجع الفضل في اعتناق العثمانيين للإسلام في وقت مبكر إلى حكم عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية ،وغدا الإسلام عقيدة دينية رسمية لهم [1].

اختلفت الروايات حول أصل الأتراك العثمانيين ،غير أن اشهرها ترى أنه يعود إلى يافث بن نوح ،وأصل آل عثمان من عشيرة أو قبيلة تركية تسمى هي قابي خان ،أو ما يعرف بقبيلة الغزية [2].وقد هاجرت هذه القبيلة من موطنها الأصلي في أواسط أسيا إلى منطقة الأناضول ،نتيجة لضغط المغول عليها ،واستوطنوا تحت سلطة السلاجقة ،وقد سنحت لهم الفرصة أيام زعيمهم عثمان بن أرطغرل ، بعد وفاة السلطان علاء الدين السلجوقي ،حيث ضم إليه ما قرب من المناطق ،ويواصل فتوحاته على حساب جيرانه إلى أن توسعت دولته [3].

وقد اعتنق الأمير عثمان الدين الإسلامي ،وتبعه الأتراك العثمانيون .ويعتقد أنهم كانوا على الوثنية ،وعلى كل حال فإن صلاتهم الوثيقة بدولة الروم السلاجقة في الأناضول –وهي دولة إسلامية– كانت عاملا هاما ساعدهم على اعتناق الدين الإسلامي بسرعة وسهولة .وأصبح الإسلام عقيدة رسمية للأتراك العثمانيين في عهد الأمير عثمان ،الذي كان متحمسا

---

[1] الشناوي عبد العزيز محمد :المرجع السابق،ص 9 .

[2] فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري :**أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوربا** ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ،إشراف الأستاذ الدكتور :يوسف علي رابع الثقفي ،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى بمكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية 1989 ،ص 8 .

[3] فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري :المرجع نفسه ،ص 9 .

لعقيدته ،فأخضع حكمه لمشورة الفقهاء المسلمين ،وتميز حكمه بالعدل .فكان للإسلام أثر كبير في مستقبل العثمانيين ،فقد اجتمعت لديهم العاطفة الدينية المتأججة إلى جانب الروح العسكرية الطاغية ،فغدت سمة بارزة في الأتراك العثمانيين ،وقد استمدوا هذه الروح العسكرية من بيئتهم الأصلية في سهول أسيا الوسطى ،وعمل سلاطينهم على تعميقها في نفوسهم ،فلازمتهم طوال تاريخهم [1].

وقد أظهر عثمان مقدرة فائقة في وضع النظم الإدارية لإمارته ،فقد تحول العثمانيون في عهده من نظام القبيلة المتجولة إلى نظام القبيلة المستقرة ،مما ساعدها على توطيد مركزها وتطورها سريعا لدولة كبرى ،وأعدها للدور البارز ،الذي قامت به لاحقا .ومن جهة أخرى استفاد العثمانيون من الظرف الدولي ،فقد وصلت الدولة البيزنطية ودولة سلاجقة الروم إلى حالة من الضعف ؛بسبب حروبهما المستمرة ،مما سبب فراغ سياسي في منطقة الأناضول ،وكانت الظروف مهيأة لأن تملأ إمارة العثمانيين هذا الفراغ على أنقاض الدولتين المتداعيتين [2].

وقد استغل عثمان بعد ارطغرل فترة الفتوحات ،وتوطيد الحكم على حساب البيزنطيين ،وكان عثمان قائدا مميزا ،ومتسامحا مع المسيحيين ،في الوقت الذي حرص فيه على تدعيم حكم الإسلام ،ففي **اسكي شهر** (المدينة القديمة) ،بنى مسجدا وعين الأئمة لإقامة شعائر الإسلام ،وتطبيق الشرع الإسلامي ،ثم قام بتوسيع نفوذه إلى **يني شهر** (المدينة الجديدة) ،التي

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي :**الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ،مكتبة العبيكان ،الرياض المملكة العربية السعودية 1995 ،ص 12 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع نفسه ، ص 13 .

هيأت له الطريق نحو اليونان ،ونحو بروسة ونيقية ،ونحو القسطنطينية ،التي ستصبح عاصمة الدولة العثمانية [1].

ومن جهة أخرى أن نشأة الإمارة العثمانية في الشمال الغربي للأناضول على حافة العالم المسيحي ؛وهو ما يسمى بدار الحرب ،وعلى حافة العالم الإسلامي ؛وهو ما يسمى بدار الإسلام ،قد فرض على هذه الإمارة سياسة حربية ،وذلك لأنها كانت على الحدود ،والثابت في تاريخ الأناضول أن الإمارات الحدودية كانت أوفر حظا من عوامل التطور والنمو مقارنة بالإمارات الداخلية [2].وهذا ما ينطبق على الإمارة العثمانية .

لقد كان العثمانيون ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مسلمون قبل كل شيء ،فكان ولاؤهم يتجه إلى الدين الإسلامي أولا ،ثم إلى السلطان ثانيا ،ثم إلى الدولة ثالثا ،وكانت روح الجهاد الديني غالبة في إسلام العثمانيين ،وازدادت قوة وصلابة عندما استقروا في الأناضول ،على حدود أو مقربة الكيانات المسيحية المتناثرة في هذا الإقليم ،واحتفظوا بهذه الروح في مسيراتهم الحربية في أوربا [3].

ومما سبق يمكن القول أنه على الرغم من اختلاف الروايات حول أصل العثمانيين ،ومناطق مجيئهم إلا أنها تجمع انه عند اعتناقهم للإسلام زادت هيبتهم وقوتهم ،وحملوا لواء الجهاد وتأسيس الدولة الإسلامية ،التي ستغدو إمبراطورية مترامية الأطراف .

---

[1] حسان حلاق :**تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر** ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،ط1 ،بيروت 2000 ،ص 20 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق ، ص 13 .

[3] الشناوي عبد العزيز محمد :المرجع السابق ،ص 10 .

المحاضرة الثانية : أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية (تابع:

الإشكالية : إلى ما تعود أصول العثمانيين ؟وكيف ظهرت الدولة العثمانية ؟وماهي أهم مراحل تأسيسها ؟وما هو الدور الذي لعبته على الساحة الدولية ؟ومن هم أهم سلاطينها ؟ .

1- تأسيس الدولة العثمانية :

كان ظهور الدولة العثمانية منذ القرن الرابع عشر الميلادي حدثا بارزا ،على المستويين الإقليمي والعالمي .فقد كانت البلاد الإسلامية ،والعربية تعاني حالة من الضعف ،والانقسام، والتجزؤ ،إضافة إلى التهديد الخارجي المستمر .في هذه الظروف ظهرت إمارة تركية في منطقة الأناضول، سيكون لها دور كبير على مسرح الأحداث الدولية لاحقا .

وتعد دولة الخلافة العثمانية ظاهرة تاريخية فريدة من نوعها ،فهي من أبرز الدول العالمية في التاريخ ،فقد شغلت حيزا كبيرا من الزمان ،إذ عاشت أكثر من ستة قرون ،وامتدت رقعتها الجغرافية إلى آسيا وأوربا وأفريقيا ،وكانت جيوشها أكثر جيوش العالم عددا ،وأحسنها تدريبا وتسليحا وتنظيما ،فقد عبرت جيوش هذه الدولة الفتية البحر من الأناضول إلى جنوبي شرق ووسط أوربا ،وفتحت بلاد اليونان ،ووبلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا ،والمجر ورودس وكريت ،وألبانيا ،حتى بلغت مشارف فيينا وجنوبي إيطاليا ،فكانت أول دولة إسلامية تصل إلى هذا العمق في الأرض الأوربية [1].

ففي بداية القرن الرابع عشر الميلادي ،حين تأسست الدولة العثمانية ،التي كانت مجرد إمارة صغيرة داخل حدود العالم الإسلامي ،تعتمد على فكرة الغزو (أو الجهاد حسب رأي كتاب

---

[1] عبد الباري محمد الطاهر : **دولة الخلافة العثمانية قراءة في نشأتها ومظاهر حضارتها وعوامل سقوطها** ،زرقاء اليمامة للنشر والتوزيع ،الفيوم ،جمهورية مصر العربية بدون سنة نشر،ص 135 .

آخرين) ضد الكفار المسيحيين ،وقد أخذت هذه الدولة الحدودية الصغيرة ،التي بدأت غير مهمة حينئذ في التوسع بشكل تدريجي ،وذلك بإخضاع وضم الأراضي التابعة لبيزنطة في الأناضول والبلقان ،وقد أصبحت منذ سنة 1517م ،حين ضمت المنطقة العربية إليها ،أقوى دولة في العالم الإسلامي [1].

2- عهد السلطان عثمان غازي (1281-1324) :

وفي سنة 1301م قام زعيم الأتراك المعروف بعثمان الغازي (1281-1324) من محاصرة العاصمة السابقة للبيزنطيين نيقيا ،وتمكن من هزيمتهم بالقرب من مدينتهم بافيون Baphaeon ،وقد جعل هذا الانتصار منه شخصية مشهورة ،وتوحدت القبائل التركية تحت لوائه ،وأصبحوا يعرفون بالعثمانيين ،وبدأت الإمارة العثمانية تتوطد بالفعل [2].وأعلن الأمير عثمان استقلاله عن دولة الروم السلاجقة في سنة 1307م بعد أن توفي أمير السلاجقة علاء الدين .ثم واصل ابنه أورخان غازي (1324-1362) توسيع رقعة دولته ففتح بورصة في سنة 1326م ،والتي أصبحت عاصمة له بعد نيقيا [3].

3- عهد السلطان أورخان غازي (1324-1362) :

واصل السلطان أورخان فتوحاته على حساب البيزنطيين فتمكن من الوصول إلى المضايق ،وسيطر على سواحل الأسود ،وجزر بحر مرمرة ،وفي سنة 1354م سيطر العثمانيون على

---

[1] خليل اينالجيك :**تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ،ترجمة :محمد .م .الأرناؤوط ،دار المدار الإسلامي ،ط1 ،بنغازي ليبيا 2002 ،ص 9 .

[2] المرجع نفسه ،ص 15 .

[3] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 14 .

مدينة أنقرة ،وبذلك أصبح الطريق مفتوحا إلى الروملي [1].

ويمكن القول أن التوسعات التي قام بها العثمانيون في هذه المرحلة ،تعود إلى عدة عوامل ،يمكن إيجازها في التالي :

1- الروح الدينية الجياشة .

2- الطبيعة العسكرية الصارمة للعثمانيين .

3- الموقع الجغرافي المتميز في الشمال الغربي للأناضول .

4- الأوضاع السياسية في المنطقة المحيطة بالعثمانيين [2].

لقد كان مثال الغزو أو الجهاد عاملا مهما في تأسيس الدولة العثمانية وتطورها ،فقد كان مجتمع الإمارة العثمانية ؛ينسجم مع نموج حضاري خاص ،متشبع بمثال الجهاد الدائم ؛لتوسيع دار الإسلام ،حتى تشمل العالم كله .فقد كان الغزو الدائم يمثل واجبا دينيا ،يدفع العثمانيين إلى كل أشكال المخاطرة والتضحية .فلم يكن الهدف من الجهاد تدمير عالم الكفر ،أو دار الحرب بل إخضاعه .وهكذا فقد أسس العثمانيون إمبراطورتيهم بضم البلقان المسيحي ،إلى الأناضول المسلم تحت حكمهم [3].وتواصلت فتوحات العثمانيين في عهد السلاطين العثمانيين ما بعد أورخان ،أيام مراد الأول (1362-1389) ،وبايزيد (1389-1402) ،حيث فتحت الروملي ،والبلقان ،وتم توحيد الأناضول [4].

---

[1] يلماز أوزتونا :**تاريخ الدولة العثمانية** ،ترجمة :عدنان محمود سلمان ،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ،استانبول تركيا 1988 ،ص ص 94-95 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق ، ص 15 .

[3] خليل اينالجيك : المرجع السابق ،ص ص 15-16 .

[4] يلماز أوزتونا :المرجع السابق ،ص 103 .

4- عهد السلطان محمد الفاتح (1446-1481) :

وقد استمرت فتوحات العثمانيين في أوربا طيلة القرنيين الرابع عشر والخامس عشر ،وكانت سنة 1453م حاسمة بالنسبة للعثمانيين بقيادة محمد الفاتح (1446-1481) ،فقد تمكنوا من فتح القسطنطينية عاصمة بيزنطة ،وقضوا على الإمبراطورية البيزنطية ،وورثوا تراثها وممتلكاتها [1].وتعد القسطنطينية من أهم المدن العالمية ،فقد أسسها الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الأول في سنة 330م ،وقد كان لها موقع عالمي ،حتى قيل عنها :**لو كانت الدنيا مملكة واحدة ،لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها** [2].وبذلك تحققت نبوءة الرسول محمد –صلّى الله عليه وسلم- في 20 جمادي الأولى من سنة 857هـ / 1453م [3].

وقد كان فتح القسطنطينية مؤشرا لتمازج حضاري إسلامي-مسيحي-شرقي-غربي ،فقد أمر محمد الفاتح بتحويل كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد ،وبناء المدارس والمكتبات ،والمؤسسات الخيرية والوقفية ،وأصبحت القسطنطينية تعرف منذ هذه الفترة باستانبول و اسلامبول ،أو الأستانة ،وأصبحت عاصمة للدولة ،وأهم مركز ثقافي في العالم الإسلامي .كما أبقى السلطان محمد الفاتح الكثير من المسيحيين واليهود في العاصمة ،كما نقل إليها الكثير من المسلمين ،وانتقل إليها التجار والمثقفين والطلاب [4].

---

[1] دونالد كواترت : **الدولة العثمانية 1700-1922** ،ت عريب :أيمن الأرمنازي ،مكتبة العبيكان ،ط1 ،الرياض المملكة العربية السعودية 2004 ،ص 34 .

[2] نقلا عن :إدريس الناصر رئيسي: **العلاقات العثمانية-الأوروبية في القرن السادس عشر** ،دار الهادي ،ط1 ،بيروت لبنان 2007 ،ص 24 .

[3] ياسر بن عبد العزيز محود قاري : **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية** ،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف :يوسف بن علي الثقفي ،قسم الدراسات العليا التاريخية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى بمكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية 2001 ،ص 37 .

[4] حسان حلاق : المرجع السابق ،ص ص 26-27 .

وبعد ذلك شن محمد الفاتح حروبا على بلاد الصرب والبوسنة والهرسك ،والمورة وألبانيا ،وجمهوريتي جنوة والبندقية ،ومملكة نابولي ،وحقق انتصارات كبيرة ضد هذه الدول ،وأخفق السلطان محمد الفاتح في فتح بلغراد والسيطرة على جزيرة رودس[1].

كما تميز عهد السلطان محمد الفاتح بدخول المزيد من الألبان في الدين الإسلامي ،والذين عرفوا بالأرناؤوط والبشناق ،وقد اشتهر هؤلاء بحبهم للإسلام والجهاد والقتال ،كما قاموا بدور بارز في الميادين العسكرية والمدنية ،وظهر منهم الكثير من الوزراء والولاة ؛منهم احمد باشا الجزار ،ووالي مصر محمد علي باشا وأسرته ،وانتشر الألبان في شبه جزيرة الموره ،وفي بلاد الشام ومصر[2].

وقد توفي محمد الفاتح في سنة 1481م ،وقد أنقذت وفاته أوربا من العثمانيين ،لاسيما وأن جيوشه كانت قد دخلت الأراضي الإيطالية ،واحتلت براندیزي في محاولة للتقدم نحو روما .ولذلك يعتبر السلطان محمد الفاتح المؤسس الحقيقي للإمبراطورية العثمانية ،فهو أول سلطان عثماني يصدر قانون نامه ،والكثير من القوانين العرفية [3].

5- عهد السلطان بايزيد الثاني (1481-1512) :

أما عهد السلطان بايزيد الثاني (1481-1512) فقد تميز بالتطور الاقتصادي ،فتطورت المدن العثمانية كأدرنة وبورصة ،واستانبول ،إذ أن بايزيد الثاني لم يكن فاتحا كابيه محمد الفاتح ،لكنه تمكن من ترسيخ الاستقرار في المناطق المفتوحة في الأناضول والبلقان ،كما شهدت

---

[1] خليل اينالجيك :المرجع السابق ،ص ص 51-52 .

[2] حسان حلاق : المرجع السابق ،ص27 .

[3] حسان حلاق : المرجع نفسه ،ص27 .

الإمبراطورية العثمانية في عهده ،بداية المشاركة في السياسة الأوربية ،من خلال دورها في حوض البحر المتوسط [1].

من جهة أخرى عمد السلطان بايزيد على التدخل في شؤون أوربا عن طريق جمهورية البندقية ،التي كانت تمثل أهم الدول الأوربية لاسيما في التجارة البحرية ،فوقع معها معاهدة صلح في سنة 1482م منحت فيها امتيازات تجارية في الدولة العثمانية .لكن العلاقات توترت خلال السنوات اللاحقة ،بسبب التوسعات العثمانية في حوض المتوسط على حساب المراكز التجارية البندقية ،فوقعت بينهما عدة حروب خلال سنوات 1491م ،1496م ،1499م ،والتي انتهت بتوقيع معاهدة صلح في سنة 1502م .لقد حقق العثمانيون انتصارات كبيرة على جمهورية البندقية ،فقد غنموا مواقع استراتيجية هيأت لهم مراكز لاستخدامها لإحراز المزيد من التقدم في شرق المتوسط وغربه[2] .

وقد اقترنت حركة الفتوح الإسلامية العثمانية ،سواء في الأناضول أو أوربا بنشر الإسلام ،وقد انتشر انتشارا واسعا في بعض الأقاليم ،وانتشر انتشارا وئيدا في أقاليم أوربية أخرى ،وغدت العواصم التي اتخذتها الدولة العثمانية تباعا وهي :قونية ،بروسة ،وأدرنة ،وإستانبول مدنا إسلامية عثمانية ،ومراكز للدراسات الإسلامية والحياة الإسلامية .وتنافس السلاطين وزوجاتهم وسائر أفراد الأسرة العثمانية الحاكمة ،وأثرياء العثمانيين على إقامة المساجد الرائعة ،والمدارس والمعاهد ،والكتاتيب ؛لتدريس أصول الدين والشريعة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم [3].

---

[1] خليل اينالجيك :المرجع السابق ،ص ص 51-52.

[2] إدريس الناصر رئيسي :المرجع السابق ،ص ص 33-35 .

[3] الشناوي عبد العزيز محمد :المرجع السابق ،ص ص 10-11 .

وفي آخر أيامه وقعت فتنة عصيان أولاده وإعلانهم الحرب الداخلية بينهم ،فقد بقي للسلطان بايزيد ثلاثة أبناء ذكور ؛وهم كركود وكان مولعا بالعلوم والآداب وجالسة العلماء ،ولم يكن له اهتمام بالحرب ولا علاقة له بالجيش ،والثاني هو أحمد كان محبوبا لدى الأعيان والوزراء ،وكان علي باشا أكبر الوزراء مخلصا له ،أما الثالث فهو سليم فكان محبا للحرب ومحبوبا لدى الانكشارية .وكان السلطان بايزيد قد عين أبناءه على بعض الولايات ،لكن ابنه سليم لم يرضى بها التعيين ،فتمرد الإخوة على السلطان ،لكنه استطاع القضاء على تمردهم ،ثم عفا عنهم ،لكن الانكشارية حملوا سليم إلى القسطنطينية ،وطلبوا من السلطان بايزيد الثاني على التنازل على الملك لابنه سليم في 25 افريل سنة 1512م ،توفي السلطان بايزيد الثاني في 26 ماي سنة 1512م ،وهو في طريقه للإقامة في بلدة ديموتيقا ،عن عمر ناهز 67 سنة ،بعد أن قضى 32 سنة في الحكم ،وتدعي بعض الروايات أن ولده سليم دس له السم خوفا من عودته للمطالبة بالملك [1].

ومما سبق يمكن القول أن تواجد الدولة العثمانية اقتصر في هذه المرحلة على الأناضول والبلقان ،وقد ضمت الدولة العثمانية رعايا مسلمين ومسيحيين .أما خلال المرحلة اللاحقة فسيتغير توجه الفتوحات العثمانية إلى جهة الشرق الإسلامي مع بداية القرن السادس عشر .

---

[1] محمد فريد بك المحامي : **تاريخ الدولة العثمانية العلية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار النفائس ،ط1 ،بيروت 1981 ،ص 187 .

المحاضرة الثالثة : أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية (تابع) :

الإشكالية: ماهي أهم التوسعات التي حققها العثمانيون خلال القرن 16م ؟وما هو الدور الذي لعبوه في حوض البحر المتوسط ؟ومن هم السلاطين الذين قاموا بهذه التوسعات ؟.

1- عهد السلطان سليم الأول (1512-1520) :

مع إطلالة القرن السادس عشر كانت السلطنة العثمانية ،قد وصلت إلى مفترق الطرق ،هل تظل على هذا الوضع ،وهذا القدر من الاتساع دولة بلقانية أناضولية ؟أو تستمر في التوسع الإقليمي في أوربا ؟ أو تتجه نحو المشرق الإسلامي ؟ .

كانت الإمبراطورية العثمانية في القرن السادس عشر ،تقف في مواجهة مجموعة من الدول القوية الفتية مثل :إنجلترا وإسبانيا ،والإمبراطورية المقدسة (النمسا-هنغاريا) ،أما الدويلات الإيطالية (جمهوريتي جنوة والبندقية) ،فقد ربطتها علاقات قوية مع الإمبراطورية العثمانية ،نظرا لموقعهما المتميز في حوض البحر المتوسط ،وبسبب نفوذهما السياسي والتجاري الكبير ؛فقد امتلكتا أساطيلا تجارية ربطت الهند بالجزيرة العربية وحوض المتوسط ،وأوربا الغربية .كما برزت في غضون ذلك إمبراطوريتان كبيرتان في المشرق هما :الدولة الصفوية في إيران ،وإمبراطورية المغول في شبه القارة الهندية .ومن جهة أخرى ظهرت إسبانيا والبرتغال كقوتان قامت بغزو العالم الجديد ونهب خيراته [1].

توجهت الفتوحات العثمانية خلال القرن السادس عشر إلى الشرق الإسلامي ؛أي إلى المنطقة العربية ، نتيجة للظروف الدولية السابقة الذكر ،وقد برز هذا التوجه في عهد السلطان

---

[1] دونالد كواترت : المرجع السابق ،ص 34 .

سليم الأول (1512–1520) ،وأصبحت الدولة العثمانية دولة أسيوية وأوربية وأفريقية ،وبرز فيها الطابعان الإسلامي والعربي ،إذ ضمت لأول مرة عددا من الشعوب العربية ،وزادت نسبة الرعايا المسلمين، وتولت الدولة العثمانية زعامة العالم الإسلامي [1].

فقد تم تعيين سليم الأول بمساعي من الانكشارية ،فقام بتعيين ابنه سليمان حاكما للقسطنطينية ،ثم توجه إلى أسيا لمحاربة إخوته وأبناء إخوته حتى لا يبقى له منازع على الحكم ،فتم له ذلك في سنة 1513م بعد أن هزم أخيه أحمد وقتله .وبعد أن استقرت الأوضاع للسلطان سليم ،عاد إلى مدينة أدرنة ،وعقد اتفاقيات مع عدة دول لتامين الجبهة الخارجية ،مع كل من البندقية ،وروسيا ،والمجر ،ومصر ،لأن مطامعه متجهة إلى بلاد الفرس ،التي بدأت تنمو وتظهر كقوة في عهد الشاه إسماعيل الشيعي[2].

لقد أحدث سليم الأول تغييرا جذريا في سياسة الدولة العثمانية الجهادية ،فقد توقف في عهد الزحف العثماني نحو الغرب الأوربي ،أو كاد يتوقف ،واتجهت أهداف السلطنة العثمانية اتجاها شرقيا ،نحو المشرق الإسلامي ،إثر ظهور الدولة الصفوية في إيران كقوة خطيرة مناوئة للعثمانيين .والتي يعمل حسابها بعد أن أخضعت كل الأقاليم ،التي كانت تابعة للإمبراطورية التيمورية ،وحاولت بسط المذهب الشيعي في العراق واسيا الصغرى ؛مما دفع بالدولة العثمانية إلى الخروج للمشرق العربي لحماية أسيا الصغرى بصفة خاصة ،والعالم السني بصفة عامة .كذلك تحرك السلطنة العثمانية لإنقاذ المقدسات الإسلامية من التحرك الصليبي الجديد من جانب الإسبان في المتوسط ،والبرتغاليين في المحيط الهندي وبحر العرب والبحر الأحمر

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 20 .

[2] محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ،ص 188 .

؛خاصة بعد أن أصبحت هذه القوى المسيحية تحاصر العالم الإسلامي وتطوقه ،وتفرض عليه حصارا اقتصاديا [1].

فقد قام الشاه إسماعيل (1501–1524) بمساعدة الأمير أحمد ضد أخيه السلطان سليم الأول ،كما وفر الحماية لكل من فرّ من أولاده إليه ،وزيادة على ذلك أرسل وفدا إلى سلطان مصر يطلب منه التحالف لإيقاف سير الدولة العثمانية ،حتى لا تحارب كل واحد منهما على منفردا ،وتتوسع على حساب ممتلكاته [2].

لقد خاضت الدولة العثمانية صراعا ضاريا ضد الدولة الصفوية في فارس ،والتي يحكمها الشاه إسماعيل الصفوي (1501–1524) ؛المؤسس الحقيقي لها ،الي اتخذ من المذهب الشيعي مذهبا رسميا للدولة الصفوية ،وعمل على نشره في العراق ،ونجح في ذلك إلى حد بعيد ،ثم حاول نشر المذهب الشيعي في الأناضول ؛الموطن الأصلي للدولة العثمانية ،ولقي المذهب الشيعي استجابة واسعة من رعايا الدولة العثمانية ،وخاصة في شرق الأناضول ،لذلك قام السلطان سليم الأول باستئصال الخطر الشيعي ،وانتصر عليه في معركة جالديران في سنة 1514م ،ودخل إلى العاصمة تبريز ،واستولى سليم على كثير من بلاد أرمينية الغربية ،وما بين النهرين وتبليس ،وديار بكر والأراضي الجنوبية حتى نهر الرقة ،والموصل .ثم عاد إلى استانبول للاستعداد للتوجه إلى المشرق الإسلامي [3].

---

[1] إدريس الناصر رئيسي :المرجع السابق ،ص 37 .

[2] محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ،ص 188 .

[3] الشناوي عبد العزيز محمد: المرجع السابق ،ص 19 .

2- عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566) :

اتصف سليمان القانوني (1520-1566) بالعدل والإنصاف ،وتميز عهده بإصدار العديد من القوانين ،للك لقب بالقانوني ،قام بالسيطرة على بلغراد سنة 1521م ،وعلى رودس سنة 1522م ،والمجر سنة 1526م وقتل ملكها ،وقام بعدة حملات للسيطرة على فيينا ،لكنه فشب فشل في الاستيلاء عليها ،مما أدى إلى عقد الصلح مع النمسا سنة 1547م [1].وقد بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج قوتها واتساعها ،واشتهر بالعدل والتسامح ؛للك أحبته الرعية ،وساعدته الانكشارية على توطيد حكمه ،وفد عمل على بناء أسطول قوي ،مكنه من مواجهة أعدائه في الشرق والغرب [2].

كما خاض سليمان القانوني صراع مرير مع الصفويين ،واستطاع إنقاذ العالم السني الإسلامي من تهديد الشيعة ،واستطاع الوقوف في وجه الإسبان وتهديداتهم المستمر لمسلمي المغرب الإسلامي ،فتحالف مع فرونسوا الأول ملك فرنسا للوقوف في وجه ملك إمبراطورية الهابسبوغ شارل الخامس (إسبانيا ،ألمانيا ،إيطاليا ،النمسا) ،فعقد معاهدة الامتيازات مع فرنسا سنة 1536م . وبذلك استطاع الوقوف في وجه المد الشيعي والمسيحي المتحالف ضد العالم الإسلامي .وقد توفي السلطان سليمان بعد ثلاثة وأربعين سنة قضاها في خدمة الدولة العثمانية ،وتوسيع نطاقها ،وإعلان شأنها ،حتى بلغت أعلى درجات الكمال ،وذلك في سنة 1566م [3].

---

[1] حسان حلاق : المرجع السابق ،ص30 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص63 .

[3] محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ،ص ص198-251 .

3- الدولة العثمانية بعد سليمان القانوني :

خلف السلطان سليم الثاني (1566-1574) والده سليمان القانوني ،ولكنه كان يميل نوعا ما إلى حياة الترف ،فهزمت أساطيل الدولة العثمانية في عهده على يد التحالف المسيحي الأوربي ،في معركة ليبانت في سنة 1571م ،لكنه حاول إعادة الدولة العثمانية إلى حوض المتوسط الغربي بانتصاره على الإسبان في تونس سنة 1574م .ومعظم السلاطين الذين جاؤا بعده ،تميزت عهودهم بالضعف مقارنة بسابقيهم ،فقد قتل مراد الثالث سنة 1579م ،كما قتل عثمان الثاني على أيدي الانكشارية سنة 1622م ،في حين قام مراد الرابع (1623-1640)م ببعض الإصلاحات ،والسلطان سليمان الثاني مما ولد استقرارا نسبيا للدولة العثمانية [1].

ومع بداية القرن الثامن عشر رات الدولة العثمانية أهمية الانفتاح على أوربا ،فوقعت المعاهدات وأرسلت السفراء لبعض العواصم الأوربية ،واتصلت بسفرائهم في الاستانة ،وكان ذاك في عهد السلطان احمد الثالث (1703-1730م) ،فبدأت حركة التمازج من الغرب الأوربي ،وتواصلت حركة الانفتاح والاصلاحات الأوربية في الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الأول (1730-1754م) .اما في عهد السلطان سليم الثالث (1789-1808م) ،الذي حاول أعادة قوة الدولة العثمانية ،وأنشأ جيشا جديدا موازيا للانكشارية عبى النسق الفرنسي ،لكن إصلاحاته فشلت بسبب ضغط الانكشارية ورجال الدين ،مما تسبب في عزله من الحكم ،وبمجيئ السلطان محمود الثاني (1808-1839م) حاول مواصلة الإصلاحات وقضى على الانكشارية في الموقعة الخيرية في1826م ،لكن الدولة كانت قد دخلت في مرحلة الضعف[2].

---

[1] حسان حلاق : المرجع السابق ،ص ص32-33 .

[2] المرجع نفسه ،ص ص34-36.

4- الخصائص العامة للدولة العثمانية :

تميزت الدولة العثمانية عن غيرها من الدول بخصائص كثيرة ،جعلتها دولة مميزة ويمكن إجمالها في التالي [1]:

4.1- دولة العسكرية :كانت هذه الخاصية الأولى التي ميزت الدولة العثمانية ،وقد طبعت أخلاق العثمانيين ،فقد كانت النزعة الحربية أصيلة لدى العثمانيين ،استمدوها من بيئتهم الأولى في أواسط أسيا ،وعلاقاتهم العدائية مع الكيانات السياسية المحيطة بإمارتهم في الأناضول .وقد تميزوا بالصرامة والشجاعة والنظام ،وخاصة بعد عمليات التوسع التي قاموا بها .

4.2- دولة دينية :ويقصد بها الطابع الديني الإسلامي ،الذي اتسمت به تشريعاتها ومعظم تصرفاتها .ومن مظاهر ذلك تشييد المساجد الكبرى ،والتطبيق الصارم للشريعة الإسلامية ،التنظيم والإشراف المحكم الرسمي على قوافل الحج ،وتشجيع العثمانيين لظاهرة التصوف ،تغيير اسم القسطنطنية إلى اسم إسلامي استانبول (أو اسلامبول) ،اهتمام العثمانيين بالأماكن المقدسة في الحجاز ،تلقب السلاطين العثمانيين بألقاب إسلامية مثل حامي حمى الحرمين وخادم الحرمين ،بالإضافة إلى شعارات دينية كثيرة ظهرت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ،وأثناء الحرب العالمية الأولى .

4.3- دولة طبقية :فقد ضمت الدولة العثمانية طبقات مختلفة ،وفئات كثيرة .

4.4- دولة إقطاعية من نوع خاص :وقد تمثل طابعها الإقطاعي خلال وجود نظامين ،نظام الإقطاع الحربي ،ونظام الالتزام.

---

[1] الشناوي عبد العزيز محمد: المرجع السابق ،ص ص 49-183 .

4.5- دولة عالمية : من حيث تواجدها في ثلاث قارات فقد امتد نفوذها إلى كل مناطق العالم .وضمت شعوب من جنسيات مختلفة وديانات كثيرة .

4.6- دولة ذات حكم مطلق :ويقصد به حكم السلطان المطلق بكل السلطات .

ومما سبق يمكن القول أن توجه العثمانيين إلى الفتوحات باتجاه البلاد العربية ؛كان حتمية تاريخية فرضتها الظروف على أرض الواقع . سنتطرق في المحاضرات اللاحقة لموضوع الفتح العثماني للمشرق العربي .

المحاضرة الرابعة : النظام السياسي للدولة العثمانية:

الإشكالية : كيف كانت سياسة الحكم العثماني ؟وهل أدخل العثمانيون تغييرات جديدة على النظام الإداري للمناطق التي فتحوها ؟أم أنهم حافظوا على الموروث الذي وجدوه قبلهم ؟.

1- سياسة الحكم للدولة العثمانية :

قامت الدولة العثمانية على أساس الحكم المطلق ،فكان السلطان وحده صاحب السلطة العليا في إدارة البلاد ،مستعينا بمن وثق بهم من الرجال ،فاسند اليهم المناصب العالية في مختلف الشؤون العسكرية ،والمدنية الداخلية والخارجية .أما الولايات المرتبطة مباشرة بالعاصمة ،دون أن يكون لها نظام إداري خاص بها ،فكانت تدار من قبل ولاة يعينهم السلطان بصلاحيات واسعة ،تبعا للحكم المطلق .وكان الوالي يعتمد في الإدارة خبراء ؛وهم في الغالب من أبناء مركز الولاية ،ويتعاون مع الزعماء الإقطاعيين في الملحقات .وكان همه الأول هو إقرار الأمن والسكينة ،وتأمين الطاعة لجلالة السلطان وجباية الضرائب ،فيرسل منها المبلغ المفروض إلى العاصمة ،ويصرف الباقي في سبيل الإدارة المحلية من عسكرية ومدنية [1].

ومن جهة أخرى لم يكن للعثمانيين خطة عامة واحدة لإدارة حكم البلاد ،التي خضعت لهم أو دخلت في طاعتهم ،بل تأثرت سياستهم الإدارية بصورة عامة بالأوضاع الداخلية ،التي كانت قائمة في كل بلد قبل دخوله ،وبالظروف التي تم فيها الفتح [2].

وكان التنظيم الإداري العثماني يرتكز في البلاد المفتوحة على قبولها ؛وجود ممثل السلطان أو نائبه (الباشا) ،وحامية تركية تكون محدودة العدد في الأحوال العادية ،ودفع الضرائب .وفيما

---

[1] يوسف الحكيم :**سورية والعهد العثماني** ،ط4 ،دار النهار للنشر ،بيروت 1991 ،ص 15 .

[2] محمد خير فارس: المرجع السابق ، ص 54 .

عدا ذلك تبقى السلطة العثمانية بعيدة عن الحياة العامة للبلاد المحكومة ؛فلم يكن للدولة العثمانية سياسة عامة مرسومة في الاقتصاد والتعليم الخ ... [1].

وعلى صعيد آخر استند الأساس القانوني للسلطة العثمانية على دعامتين :الشريعة الإسلامية والأعراف الحقوقية لسكان البلاد المفتوحة ،ولذلك لم يكن السلطان العثماني بالأمير المطلق الصلاحيات .فقد كانت البلاد العربية تمثل خمس المساحة الإجمالية من أراضي السلطنة ،عند مستهل القرن السادس عشر ،لذلك لم يتبع السلطان إدارة مركزية مطلقة في الولايات العربية ،بل اتبع أساليب إدارية مختلفة ؛تبعا لخصوصيات الأماكن التي انضوت تحت لوائه .فقد قسمت البلاد العربية إلى ولايات ،كان عددها نحو إحدى عشر ولاية باستثناء بلاد المغرب .وكان هذا العدد يزيد وينقص في بعض الفترات ،وكانت مختلف الولايات والمناطق تتمتع بدرجات متفاوتة من الحكم الذاتي[2].

لقد كان مجموع ولايات الدولة العثمانية تسعة وثلاثون (39) ولاية ،بلغ مجموع الولايات العربية منها اثنا عشر (12) ولاية ،وهي :

– الحجاز وبيروت ،اليمن ،البصرة ،بغداد ،والموصل ،حلب ،سوريا (دمشق) ،الجزائر ،طرابلس الغرب ،تونس ،مصر .

– أما المتصرفات فهي :القدس ،بنغازي ،دير الزور ،وجبل لبنان ،وترتبط هذه الولايات والمتصرفات بالعاصمة استانبول مباشرة [3].

---

[1] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 54 .

[2] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ،ص ص 20–21 .

[3] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ،ص 55 .

لقد كان الباب العالي يمارس سلطته على الولايات العربية من خلال إطار لنظام ،يتكون أساسا من ثلاثة عناصر رئيسية وهي :الحاكم ،والمليشيات (الجند) ،ثم القاضي[1].

2- ملامح السلطة في الدولة العثمانية :

أولا :السلطان :

وكان سلاطين آل عثمان يعتنون كل الاعتناء ،ويهتمون بالمصالح المتعلقة بأمور الدين والدولة ،ويحضرون بأنفسهم في الديوان [2].ويعتبر الحاكم العثماني أو الخليفة ،أو السلطان ممثلا للإرادة الإلهية فوق الأرض ،إذ أن السلطان في القانون العثماني ؛يعتبر الممثل الوحيد لرعاياه ولمصالح الإسلام والمسلمين ،فتضرب باسمه السكة ،ويخطب في منابر المساجد ،ويدافع عن دولة الإسلام ،ويحمي الأماكن المقدسة ،ويشرف على تنظيم الحج .وهذا كله في إطار التقيد بأحكام الشريعة الإسلامية ،التي كانت وحدها القانون المكتوب للدولة العثمانية .وقد تميز الحكام العثمانيين بجعلهم الشريعة الإسلامية القانون الفعلي للدولة .وقد شهدت مؤسسة السيادة العثمانية تطورا كبيرا خلال قرنين من الزمن ،كلقب الغازي (القرنين 13م و14م) ،وسلطان العرب والعجم والروم (من القرن 15م إلى نهاية القرن 18م) ،ولقب الخليفة (ما بعد سنة 1774م) [3] .

---

[1] أندريه رايمون :**المدن العربية الكبرى في العصر العثماني** ،ترجمة :لطيف فرج ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة 1991 ،ص 23 .

[2] خلف بن دبلان الوذيناني :**الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام 1327هـ/1909م** ،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث ،إشراف :أ.د عبد اللطيف عبد الله دهيش ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،قسم الدراسات العليا التاريخية والإسلامية ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة 1410هـ/1990م ،ص 126 .

[3] الغالي غربي :**دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2 ،الجزائر 2011 ،ص 28 .

أما عن وراثة الحكم فقد كان الابن الأكبر يخلف والده عادة في الحكم الدولة ،وكان السلاطين العثمانيون يرسلون أبناءهم بعد البلوغ لحكم مقاطعات الأناضول ،فيراقب السلطان سيرتهم ويختار واحد منهم لوراثة الملك ،وقد سن السلطان محمد الفاتح قانون قتل الإخوة للحفاظ على قوة الدولة العثمانية ،وأجازه له العلماء واستمر العمل به مدة قرن ونصف .وما يلاحظ على سلاطين الدولة العثمانية ،أنهم صنفان :الأوائل كانوا أقوياء أولهم عثمان غازي ،وآخرهم سليمان القانوني .والآخرون كانوا سلاطين ضعاف وفاسدين تركوا مقاليد حكم الدولة ،بعيدين عن مجريات الأحداث الداخلية والخارجية للدولة [1].

ثانيا :الصدر الأعظم :

هو رئيس الوزراء ،يعود تاريخ ظهور هذه الوظيفة إلى عهد السلطان أورخان ؛حين تولاها أخوه علاء الدين ،وهو بمثابة النائب العام للسلطان في الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية ،ويتمتع الصدر الأعظم بسلطات واسعة ،فهو الذي يشرف على كل التعيينات الوظيفية والعسكرية ،والمدنية على مستوى الإدارة المركزية أو إدارة الولايات ،وتطبيق القانون والنظام في العاصمة ،ويتولى قيادة الجيش عند عدم اشتراك السلطان في ذلك ،ومع نمو الدولة العثمانية منح الصدر الأعظم ،صلاحيات واسعة دون الرجع إلى استشارة السلطان [2].

ثالثا :الديوان الهمايوني :

كان بمثابة مجلس الوزراء ،يضم رؤساء الدوائر في الدولة العثمانية ،يجتمع مرتين في الأسبوع لمناقشة قضايا الدولة الهامة ؛كإقرار الحرب أو السلم .ومع مرور الوقت توسعت اختصاصات

---

[1] الغالي غربي : المرجع السابق ،ص 30 .

[2] المرجع نفسه ،ص 31 .

الديوان ،فاصبح مؤسسة تناقش جميع شؤون الدولة والتعيينات في مختلف الوظائف ،وبذلك اصبحا مهامه سياسية ،وقضائية ،ومالية [1].

رابعا :الهيئة الدينية :

وهي الهيئة الإسلامية الحاكمة في الدولة ،ويترأسها السلطان العثماني معنويا ،ولكن رئيسها الفعلي هو شيخ الإسلام ،وكانت الهيئة تتكون من عناصر وهي [2]:

1- شيخ الإسلام .

2- القضاة بمختلف فئاتهم ودرجاتهم .

3- المفتون .

4- أساتذة الشريعة وأصول الدين .

5- هيئات التدريس في المدارس الإسلامية .

6- بالإضافة إلى الإداريين في القطاع الديني .

خامسا :المؤسسة العسكرية :

كان للمؤسسة العسكرية دورا مهما في تاريخ الدولة العثمانية منذ تأسيسها ،ومثلت الانكشارية أو الجيش الانكشاري ،أهم مكونات المؤسسة العسكرية العثمانية ،بسبب دورها البارز في تحقيق الانتصارات والفتوحات العثمانية على حساب الجيوش الأوربية ،منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر .وهذا نظرا للنظام الصارم الذي تميزت به الانكشارية في القرون الأولى لظهور الدولة العثمانية .ومع مرور الوقت وخاصة بعد سنة 1566م عندما سمح للانكشارية

---

[1] الغالي غربي : المرجع السابق ،ص 32 .

[2] عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق ،ص 398 .

بالزواج وتكوين أسر ،بدأت قوة الجيش الانكشاري في التراجع ،ومع الوقت تحولت هذه القوة إلى عامل هدم للدولة العثمانية ،لذلك سعى السلاطين العثمانيين إلى القضاء عليها .ورغم محاولات إصلاح الانكشارية المتكررة إلا أنها باءت بالفشل ،إلى أن تم القضاء عليها سنة 1826م في الموقعة الخيرية [1].

بالإضافة إلى الانكشارية هناك القوة البحرية ممثلة في الأسطول البحري ،والقوات العسكرية البرية المتواجدة في الولايات العثمانية [2].

ومما سبق يمكن القول أن النظام السياسي للدولة العثمانية كان يستند إلى السلطة المطلقة للسلطان ،الذي كان يعتمد على نواب له في الولايات العثمانية ،هم الولاة ،وكان النظام الإداري في هذه الولايات يعتمد على خصوصيات تلك الولايات ،كما كان للشريعة الإسلامية والأعراف دور كبير في ذلك النظام السياسي ،يساعده الجي والقضاء .

---

[1] الغالي غربي : المرجع السابق ،ص ص 37-41 .

[2] سيتم التطرق بالتفصيل للمؤسسة العسكرية بمختلف مكوناتها في المحاضرة اللاحقة .

المحاضرة الخامسة : الجيش العثماني (الانكشارية والبحرية):

الإشكالية :كيف وضع الجيش العثماني ؟وما أهم مميزاته وما هو الدور الذي لعبه في قوة الدولة العثمانية ؟.

1- الجيش الانكشاري :

كان الجيش العثماني في عهد عثمان غازي كالجيش السلجوقي يتكون من وحدات عسكرية ،كل وحدة عسكرية من قبيلة ،وبقي الجيش العثماني على هذا النمط ،حتى عهد ابنه السلطان أورخان ،الذي عمد إلى تزويد جيشه بقوات جديدة ،هم جيش المشاة (يايا) الذين تكونوا من أبناء الفلاحين ،وكانوا يستخدمون لمحاصرة القلاع البيزنطية ،وخصصت لهم أجور ثابتة .أما الجيش الانكشاري (يني تشيري) فقد تكون من الشباب المسيحيين الذين تم جذبهم من المناطق الأوربية المفتوحة من طرف العثمانيين لإجراء الخدمة العسكرية .وفي عهد السلطان مراد الأول بن أورخان (1360-1389) ، تطور الجيش الانكشاري ،وبذلك ينسب المؤرخون تأسيس الجيش الانكشاري إلى عهدي أورخان وابنه مراد الأول [1].

ويمكن القول أن القوة العسكرية العثمانية في عهد مراد الأول تشكلت من ثلاثة أنواع :

- جيش المشاة المتكون من الفلاحين (جيش يايا) .
- الحرس الشخصي للسلطان العثماني المتكون من المحاربين الغلمان العبيد .

---

[1] للاطلاع على مختلف مراحل تطور الجيش الانكشاري وانجازاته في الدولة العثمانية ،أنظر : إيرينا بتروسيان:**الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** ،تقديم ومراجعة قسم الدراسات والنشر بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ،ومعهد الدراسات الشرقية المجمع العلمي الروسي (فرع سان بطرسبرغ) ،دبي 2006 .

– الجيش الجديد (يني تشيري) ،المتكون من الشباب المسيحيين ،ثم المسيحيين المعتنقين للإسلام .

وتشير الكتابات إلى أن السلطان أورخان فكر في طريقة لتجميع القوات لقتال البيزنطيين ،الذين تزايد خطرهم على الدولة العثمانية ،فأشار عليه أخوه علاء الدين وزير الدولة وقائده قرة خليل ،وبعض قواده الآخرين ؛بفكرة إيجاد جيش نظامي ودائم ،يكون مستعد استعدادا كاملا لمواجهة أعداء الدولة والإسلام ،في حالة الحرب والسلم .على أن يخصص لكل فرد منه راتب بقيمة ليرة عثمانية في اليوم .كما أشاروا على السلطان بأن يأخذ خمس الأسرى المسيحيين ،ويتم فصلهم عن كل ما يذكرهم بماضيهم وأصلهم ،وتربيتهم تربية إسلامية ،وربطهم بالسلطان ،والجهاد في سبيل الله ،فاعجب السلطان أورخان بهذه الفكرة ،وأمر بتنفيذها وأسند المهمة لوزيره قرة خليل [1].

وعندما كانت العثمانيون يواصلون فتوحاتهم في البلاد المسيحية ،كانوا يأخذون الأطفال النصارى ،ويربونهم تربية إسلامية ،وادخلوهم في سلك الجيش ،وقد ارتبط الجيش الانكشاري بهيئة العلماء ،فقد عهد السلطان أورخان برعايته إلى حاجي بكتاشي أشهر العلماء العثمانيين أنذاك ،الذي وضع مناهج لتعليمهم وتربيتهم على أسس إسلامية صحيحة .لقد كان الانكشاريون كتلة واحدة تشعر بواجبها الإسلامي ،وبالمهمة التي أعدوا لها ،وهي الجهاد في سبيل الله [2].

ومن الإنجازات التي حققها الجيش الانكشاري فتح القسطنطنية في عهد محمد الفاتح سنة 1453م ،كما ساهم الانكشارية في فتوحات أوربا في عهد بايزيد ،وفي عهد سليم الأول

---

[1] خلف بن دبلان الوذيناني : المرجع السابق ،ص 75 .

[2] المرجع نفسه ،ص ص 76–78 .

(1512–1520) ،ضد الصفويين والمماليك وضم البلاد العربية .وزادت قوة الجيش الانكشاري في عهد السلطان سليمان القانوني ،وساهم في الحروب العثمانية الأوربية [1].

وتعود بداية ضعف الانكشارية إلى عهد السلطان مراد الثالث حين سمح سنة 1582م ،بدخول عدد كبير من المجندين غير المدربين في صفوف الانكشارية ،بالرغم من معارضة أغا الانكشارية ،ويعتقد أن مراد كان راغبا في إفساد تنظيم الانكشارية ،بسبب ملاحظته لزيادة خطرهم وقوة نفوذهم على الدولة العثمانية ،فبعد أن كان لا يسمح بالانتظام في سلك الانكشارية إلا الغلمان الأعاجم ،صارت بعد ذلك عادة جارية تقبل الأخلاط ،ويسمح لأين كان بالدخول إليها [2].

وقد نتج عن زيادة الانكشارية زيادة العبء المالي ،والإجهاد لخزينة الدولة ،مما سبب العجز الاقتصادي والمالي لرواتب الجند ،ورغم محاولة الدولة إصلاح الوضع ،إلا أن ذلك أدى إلى أزمة بسبب ثورات الانكشارية المطالبين برواتبهم .ونظرا لضعف الدولة وعجزها بسبب توقف الفتوحات ،تحول الانكشارية إلى معاول هدم للدولة العثمانية .فقد استمرت ثوراتهم منذ عهد عثمان الثاني (1618–1622) إلى عهد سليم الثالث (1789–1807) ،فقد قاموا باغتيلات للسلاطين مثل عثماني الثاني ،وقد استمرت أعمال تخريب الانكشارية طيلة القرن 18م [3].

ولكن دور الجيش الانكشاري تراجع خلال القرون اللاحقة ،رغم المحاولات المتكررة لإصلاحه بسبب الحروب المستمرة مع الجيوش الأوربية المتحالفة .ومع نهاية القرن 18م انتشر

---

[1] إيرينا بتروسيان:المرجع السابق .

[2] خلف بن دبلان الوذيناني : المرجع السابق ،ص ص 136–137.

[3] المرجع نفسه ،ص 91.

الضعف والفساد والفوضى في أوساط الجيش الانكشاري ،وصاروا يعتدون على الأهالي بالسلب والنهب ،واعتدوا على السلاطين والوزراء بالعزل والقتل ،وازداد خطرهم على البلاد ،فقضى عليهم السلطان محمود الثاني في مذبحة كبيرة جرت في الأستانة في سنة 1826م [1].

2- الأسطول البحري العثماني :

إن أول أسطول بحري عثماني متكامل ،أعده السلطان محمد الفاتح في مدينة غاليبولي في سنة 1453م ،التي هي قاعدة العثمانيين البحرية في أوربا ،وكان مكونا من ثلاثمائة وخمسين (350) سفينة ،أمره بالعبور إلى البوسفور ،فألقى مراسيه في بشكطاش ،وانضمت إليه بعض السفن العثمانية من البحر الأسود ،والذي كان مصدر ذعر ورعب لسكان القسطنطينية [2].

بعد فتح العثمانيين لمدينة القسطنطينية خرج الأسطول العثماني للمساهمة في فتح الموانئ في البحر الأسود وبحر إيجه ،والتوجه إلى أوربا الشرقية ،وواصل السلطان محمد الفاتح تقوية الأسطول العثماني رغم تخوف الدول الأوربية ،حتى استطاع فتح بلاد القرم في سنة 1473م ،واستطاعت البحرية العثمانية طرد الجنويين والبنادقة من البحر الأسود ،كما استطاعت فتح جزر اليونان ،ولكن السلطان محمد الفاتح توفي سنة 1481م ،فقد عزم على فتح إيطاليا ،ولكن في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481-1512) ،حققت البحرية العثمانية انتصارات كبيرة ضد البنادقة والدول المتحالفة معهم في سنة 1503م[3].

---

[1] سليمان بن صالح الخراشي: **كيف سقطت الدولة العثمانية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار القاسم ،ط1 ،المملكة العربية السعودية 1420هـ ،ص 14 .

[2] خلف بن دبلان الوذيناني : المرجع السابق ،ص ص 136-137.

[3] محمد السيد الدغيم:**أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية** ،في **الحضارة الإسلامية وعالم البحار**،ندوة عقدها الاتحاد في القاهرة 6-8 نوفمبر 1993،منشورات اتحاد المؤرخين العرب ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية 1993 ،ص ص 379-437 .

أما السلطان سليم الأول (1512–1520) ،فقد اهتم بتطوير البحرية العثمانية ،وأصبح الأسطول العثماني سيد البحر المتوسط من الإسكندرية إلى سواحل الشام إلى إسطنبول ،واصل السلطان سليمان القانوني (1520–1566) في تقوية الأساطيل العثمانية ،واصبح الأسطول العثماني سيد البحر الأسود وبحر إيجه ،وبحر مرمرة والبحر المتوسط ،وحقق انتصارات كبيرة وخاصة بعد أن أصبحت البلاد العربية تابعة للدولة العثمانية ،وتدعم بخبرة خير الدين بربروس الذي غزا السواحل الإيطالية ووصل إلى مرسيليا في سنة 1543م [1].

وقد خاض الأسطول العثماني معارك كثيرة في حوض البحر المتوسط ضد الدول المسيحية مثل :معركة مالطة 1565م ،وفتح قبرص ،ومعركة ليبانتو (ليبانت) 1571م ،وضم تونس 1574م .ولكن منذ بداية القرن 17م ،وخلال القرن 18م ،وما بعده بدأت قوة الأسطول العثماني في التراجع ،بسبب الصراعات المتكررة مع الدول الأوربية [2].

3– القوات العسكرية في الولايات العثمانية:

في كل ولاية توجد جماعة من الانكشارية وسائر الجيوش ،كحامية دائمة .وتقسم هذه الجيوش إلى أوجاقات يرأسها ضابطها ،وأعوانها ،وسلطة الوالي عليها محدودة ،وترتبط بقائدها الأعلى في إسطنبول .وفي الولايات حاميات بعض القلاع كقلعتي دمشق وحلب ،وتتشكل من جنود خاصة تابعة للسلطان ،وضابطها يعينه الباب العالي[3] .اما النوع الثاني فهو جند ولاة أو

---

[1] محمد السيد الدغيم: المرجع السابق ،ص ص 379–437 .

[2] للاطلاع على بعض معارك الأسطول العثماني في الحوض الغربي للمتوسط ،ينظر :الشافعي درويش :**علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن 16م / 10هـ** ،مذكرة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث ،إشراف :أ.د عمار بن خروف ،قسم العلوم الإنسانية بالمركز الجامعي بغرداية 2010 / 2011 .

[3] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ، ص 22 .

الحكومة المحلية ،الذين يتم تجنيدهم من داخل الولاية ،ويرتبطون بالوالي الذي كان يقدم لهم أجرا معينا ،وتألف الجيش النظامي الانكشاري من عدد تراوح بين 165و195 أرطلة عاملة ،و59 أرطلة احتياط . وتألفت كل أرطلة من مائة جندي برئاسة قائد يدعى الشوربجي[1].

لقد أسندت توطيد مهمة الأمن ،والمحافظة على النظام في الولايات العربية إلى عدد معين الميليشيات التي كان عدد ممثليها متفاوتا في المدن المختلفة .ففي القاهرة كانت هناك ممثلو سبع أوجاقات في مقدمتها الانكشارية التي تكونت منذ فتح مصر ،لقد كانت الانكشارية هي القوة الرئيسية الأكثر أهمية ،والمنتشرة على نطاق واسع ،وفي كل مكان من في ولايات الإمبراطورية ،حيث كانت القوة الرئيسية ،التي يستخدمها الباشوات لأغراض الحكم .وتنقسم الانكشارية إلى فرق ،وتضم كل فرقة عددا ثابتا تقريبا يقيم في كل عاصمة ولاية عربية .ففي القاهرة بلغ عدد الانكشارية حوالي 6 ألاف فرد ،وفي الموصل كانت توجد ثلاث وحدات (أرطلة) من الانكشارية ،ثم أضيفت وحدتين فاصبح عدد الانكشارية ألف رجل ،وفي دمشق لم يزد عدد الانكشارية عن ألف رجل ،أما في القدس فقد كان عدد الجنود النظاميين 300 جندي ؛من بينهم 100 انكشاري[2].

ومما سبق يمكن القول أن قوات الدولة العثمانية تنوعت من البرية إلى البحرية ،نظرا للظروف التي أحاطت بتأسيس الدولة العثمانية ، والأدوار المنوطة بها سواء الفتوحات التي قامت بها في أوربا ،أو توسعاتها في البلاد العربية وحمايتها من التهديدات الخارجية ،وعلاقاتها المتنوعة مع الدول الأوربية المسيحية لاحقا .

---

[1] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 61 .

[2] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص 56 .

المحاضرة السادسة :المجتمع والثقافة في الدولة العثمانية

الإشكالية : كيف كانت حالة المجتمع في الدولة العثمانية ؟وماهي أهم مميزاته وسيماته ؟.

1- التنوع السكاني في الدولة العثمانية :

لم تكن الدولة العثمانية تعترف بالتفرقة العنصرية ،بعد تلاشي التميز بين العرب وبين معتنقي الإسلام من غير العرب ،إلا أن هناك بعض التمييز في وظائف اللغات ،فقد كانت اللغة التركية لغة الحكومة والجيش ،واللغة العربية لغة الدراسة والشريعة ،وكان دور العرب الخاص معترفا به إلى حد ما . فكان الأشراف المنحدرون من سلالة النبي ،يشكلون هيئة مستقلة تتمتع بامتيازات مالية وشرعية ، وكانوا منتظمين في كل ولاية تحت قيادة النقيب ،وكان نقيب القسطنطينية يعتبر من أكابر السلطنة العثمانية [1].

وقد ساهم العهد العثماني في تنوع سكان البلاد فيها ،فقد ساعد اتساع الإمبراطورية العثمانية وتنوعها ،وسهولة الانتقال النسبي من منطقة إلى أخرى ،على ترحال الأفراد بأعداد كبيرة ،والذين تحركهم بواعث متعددة ؛كالسعي إلى الربح عن طريق التجارة ،أو الرغبة في المعرفة والثقافة ،أو في إتمام التزام ديني كالحج .وكانت هذه البواعث تدفع هؤلاء الأفراد إلى الإقامة فترة طويلة إلى حد ما ،بل وأحيانا إلى الإقامة النهائية في ولاية أخرى .فقد استقرت في مصر جاليات كبيرة من المغاربة والسوريين والأتراك ،الذين وصل عددهم إلى 25 ألف نسمة .وقد لعبوا دورا كبيرا في الأنشطة الاقتصادية في المدن العربية خاصة التجارة [2].

---

[1] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ، ص 31 .

[2] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص 40 .

2- التسامح العرقي والمذهبي للدولة العثمانية:

كما أدى التسامح العثماني تجاه الأقليات ،ومنحها استقلالا كبيرا في إدارة شؤونها الداخلية ،إلى ازدهار الجماعات اليهودية في جميع المدن العربية الكبيرة تقريبا ،وازدهار الجماعات المسيحية في مدن المشرق العربي .كما جاءت أيضا مجموعات من المسيحيين اليونانيين والأرمن للإقامة في غالبية المدن الكبيرة في المشرق العربي ،حيث لعبوا دورا هاما في عدد من الأنشطة الحرفية إلى حد احتكار بعضها. كبائعي الفراء ،وناسجي الحرير من اليونانيين ،والساعاتية الأرمن .يضاف إلى ذلك الجالية التركية الكبيرة في البلاد العربية والمقيمة بصفة نهائية ،والتي أدت إلى تكوين جاليات جديدة نتجت عن زواج هؤلاء الأتراك المقيمين من مواطنات من أهالي البلاد العربية [1].

لقد تميز سكان المدن في البلاد العربية خلال العهد العثماني بالتنوع الشديد ،فقد كانت تضم عناصر عرقية ودينية مختلفة ،ومن جهة أخرى انقسم المجتمع إلى طبقتين :الطبقة الحاكمة للسلطة المنتمية إلى الأتراك ،وطبقة الرعايا وهم الأهالي من البلاد العربية ،لكن الانتماء المشترك للإسلام للطبقتين خلق نوعا من الانسجام والتضامن بين الطبقتين [2].

ومن جهة أخرى فقد عملت الدولة العثمانية على التوفيق بين مختلف الفئات الاجتماعية والسكانية ،سواء أكانت هذه الفئات من الزعماء المحليين ،أو الحاميات الانكشارية ،أو القبائل البدوية .وقد لجأ الولاة إلى عدة وسائل لتحقيق هذا الغرض ،ومن هذه الوسائل محاولة توحيد القضاء الشرعي .فقد كانت الدولة العثمانية تعترف بالمذاهب الفقهية الأربعة ،علما بانها من

---

[1] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص 41 .

[2] المرجع نفسه ، ص 55 .

الوجهة الرسمية تتبع المذهب الحنفي .ورغم ذلك نجد ولايات عربية تتبع مذاهب أخرى كعلماء دمشق الذين كان معظمهم على المذهب الشافعي[1].

3- مكونات المجتمع داخل الدولة العثمانية:

كان المجتمع العثماني ،مقسما إلى عدد من الطبقات ،وهي كالتالي :الطبقة الحاكمة :على رأسها السلطان ،والباشوات أو الولاة ،ثم القاضاة .وهي أقلية أرستقراطية تتكون من الأتراك . وفئة الحرفيين :من تجار وفلاحين وصناع وغيرهم . والعلماء و رجال الدين والمشايخ: وكانت السلطات العثمانية تعترف لرجال الأزهر بمكانتهم ودورهم في المجتمع .وأهل الذمة :من يهود ونصارى ،قامت بينهم وبين المسلمين علاقات قائمة على أسس العدالة وفق الشريعة الإسلامية .وكانوا يمثلون شريحة هامة لها دورها التجارية .والأشراف والسادات : كانت لهم مكانة دينية ولهم أوقاف كثيرة موقوفة لهم ،ويحظوا بمكانة لدى السلطات الحاكمة والمجتمع .والعبيد والأجانب :من تجار وقناصل ،من أوربيين إيطاليين ،وجنويين ،وبنادقة ،وغيرهم [2].

ومما سبق يمكن القول أن العثمانيين حافظوا على الموروث ،الذي وجدوه قبلهم ولكنهم أضافوا إلى المجتمع ،مكونات جديدة ساهمت في إثرائه وتنويعه .وذلك نظرا للتسامح الذي تميز بع العثمانيون في تعاملهم مع مختلف الفئات الاجتماعية ،سواء المحلية منها أو الأجانب ،أو حتى مع غير المسلمين .

---

[1] دونالد كوارترت :المصدر السابق ، ص 196 .

[2] للاطلاع على وضع الجاليات الأجنبية في بلاد الشام خلال العهد العثماني ،أنظر :ليلى الصباغ :**الجاليات الأوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر (العاشر والحادي عشر الهجريين)** ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ،بيروت 1989 .

المحاضرة السابعة :المجتمع والثقافة في الدولة العثمانية (تابع)

الإشكالية : كيف كانت الوضعية الثقافية في الدولة العثمانية ؟وماهي أهم مميزاتها وسيماتها ؟.

1- وضعية التعليم :

اعتمدت الحياة الثقافية والفكرية على الشريعة الإسلامية خلال العهد العثماني ،التي نظمت أحوال الناس الحياتية ،إلا أن العلماء عاشوا حياة انطوائية مستقلة عن الإبداع والتفكير ،فجمد البحث .وكان التعليم يقوم في المساجد والمدارس في المدن ،ويكاد يقتصر على تعلم القرآن ،والحساب ولم يعط الفرصة الكافية لأبناء الشعب للتعليم ،مما أدى إلى انتشار الجهل والأمية .ورغم ذلك فقد كانت هناك منارات علمية في العلوم الشرعية ،التي كانت تؤهل العلماء وتحافظ على التراث الإسلامي ؛كالجامع الأزهر في القاهرة وجامع الزيتونة في تونس[1] .

لقد كانت العلوم العثمانية مرتبطة بالمفهوم الإسلامي التقليدي، الذي يرى أن التعليم الديني هو العلم الحقيقي. أما منهجية العلوم الدينية فكانت تتمثل في البحث عن الدليل في القرآن الكريم، ثم في الأحاديث النبوية وبعد ذلك في السنن السابقة المدونة، وأخيرا الاجتهاد الشخصي. وقد أسس العثمانيون المكتبات في الجوامع والمستشفيات والتكايا، وكانوا يحافظون على مجموعات خاصة من الكتب في بيوتهم. وقد استخدم الكتاب العثمانيون اللغة العربية لتدوين مؤلفاتهم الدينية، إلا أنهم أخذوا منذ القرن 14م في ترجمة هذه المؤلفات إلى اللغة التركية[2].

---

[1] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 68 .

[2] خليل اينالجيك :المرجع السابق ،ص ص 263-266.

وما يعاب على العثمانيين إهمالهم للغة العربية ،والتي هي لغة القرآن والحديث الشريف ،وكان يجب الاهتمام بها الاهتمام البالغ ،فقد كان الاتجاه نحو اللغة التركية اكثر منه إلى اللغة العربية ،بسبب أن السلاطين والحكام العثمانيين يجيدون التركية وهم من أبنائها ،وصحيح أن بعض السلاطين سعوا ،وعملوا على إقامة المدارس باللغة العربية ،واهتموا بالعلم الشرعي ؛إلا أن ذلك كان دون المستوى المطلوب ،وأقل مما يجب أن يكون بكثير ،وكان على الحكام أن يتعلموا هم العربية ويشجعوا عليها .ومع عدم تعلم اللغة قل الفهم الصحيح ،وساد الجهل وخاصة في الأمصار التي تتكلم اللغة العربية (أي البلاد العربية) ،وأثر هذا على الضعف والتأخر العلمي[1].

2- فئة العلماء :

كان العلماء الذين يتولون الوظائف الدينية والثقافية ،ينتمون عادة إلى السكان الرعايا أي الأهالي من البلاد العربية ،فقد كانوا ممثلين إلى حد ما لسكان الحضر ،ولكن أنشطتهم ورعاية الطبقة الحاكمة لهم ،جعلتهم في مركز وسيط بين الحكام والرعية ،ومن ناحية أخرى فإن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة بين الأهالي ،والتي أفرزت فئات اجتماعية مختلفة ،جعلت العلماء يتخذون مواقف متنوعة للغاية ،فيما يتعلق بدورهم في المجتمع ،وعلاقاتهم مع الطبقة الحاكمة [2].

ويندرج ضمن هذه الفئة من أعضاء المحاكم والمؤسسات الدينية والتعليمية ؛من جوامع ومدارس ومساجد إضافة إلى طلبة الجوامع ،والمدارس الكبيرة .وتتوقف موارد هذه الفئة على

---

[1] محمود شاكر :**التاريخ الإسلامي –العهد العثماني**– ١،المكتب الإسلامي ،ط4 ،بيروت ،دمشق ،عمان 2000 ، ص 34 .

[2] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص 62 .

الدخول التي توزعها المؤسسات الدينية والخيرية (الأوقاف والحبوس) ،ورعاية الدولة .وقد كان العلماء يمثلون الوساطة بين السلطة والرعية ،التي يرعون مصالحها ويدافعون عن حقوقها[1].

3- التنوع اللغوي للمجتمع:

عرفت حواضر الخلافة العثمانية التنوع الاثني والمذهبي ،الشيء الذي انعكس على المجتمعات العربية ثقافيا ،وطبعه بسمات وأنساق حضارية نادرة الحدوث[2].

فمنذ أن ضم العثمانيون بلاد المشرق العربي ،فإنهم استعملوا الثقافة العربية الإسلامية ،باعتبارهم مسلمين فجعلوا الحرف العربي الأساس في كتاباتهم ،واتخذوا العلوم الشرعية في الإسلام الأساس ،الذي سارت عليه الدولة العثمانية ،فكانت الخلافة الإسلامية ،وما تقتضيه من الارتباط بالدين والمتمثل به [3].

4- انتشار التصوف :

بقيت ظاهرة التصوف ،والاهتمام بأمور الدين مهمة منذ العهد المملوكي ،في المجتمع العربي بسبب سيادة المذهب السني في البلاد العربية ،وقد تمتع العلماء بمكانة مهمة ؛لتوليهم أمور القضاء والإفتاء علما ا نامور الاجتهاد في الدين قد توقفت ،فاعتمد العلماء على النقل ولاقتباس ،والشرح لمتن قديم [4].

---

[1] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص ص 62-66 .

[2] درقاوي منصور : **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 10هـ-13هـ و16م-19م بين التأثير والتأثر** ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف الدكتور :فغرور دحو ،كلية العلوم الإنسانية والإسلامية ،جامعة أحمد بن بلة بوهران ،الجزائر 2014-2015: ص 83 .

[3] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 52 .

[4] للاطلاع أكثر على الأوضاع الثقافية والعلمية خلال العهد المملوكي ينظر: أمال رمضان عبد الحميد :**الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي 648هـ-923هـ/1250م-1517م** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

لقد كان من مظاهر ضعف الحياة الفكرية خلال العهد العثماني ؛انتشار الطرق الصوفية وقد انحط التصوف من فلسفة إلى دروشة .وقد أدى هذا الضعف إلى ظهور الحركات الإصلاحية الإسلامية لإعادة الإسلام إلى مصادره الصحيحة [1].

ومما سبق يمكن القول أن الأوضاع الفكرية ،والثقافية في الدولة العثمانية لم تكن أحسن حالا من باقي الأوضاع ،فقد تميزت هي بدورها بالتدهور على الرغم من أن العثمانيين لم يتدخلوا بشكل مباشر في الشؤون الثقافية والتعليمية ،وقد غلب عليها التعليم الديني والشرعي ،أما باقي العلوم فقد كانت متأخرة عن مثيلاتها في أوربا .

،إشراف الدكتور :عبد الله سعيد الغامدي ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية 2011 .و خالد محسن حسان الجابري :**الحياة العلمية في الحجاز في العصر المملوكي 648هـ-923هـ/1250م-1517م** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية ،إشراف الدكتور :مريزن سعيد مريزن عسيري ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية 1993 .

[1] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص39 .

المحاضرة الثامنة : التوسع العثماني في المشرق العربي:

الإشكالية :كيف كان الوضع السياسي السائد في منطقة المشرق العربي قبيل الفتح العثماني ؟وما أثره على المنطقة ؟.

1- الوضع السياسي العام للبلاد العربية قبل الفتح العثماني:

أصاب البلاد العربية الركود والتدهور ،إثر سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية على أيدي المغول في سنة 1258م ،وقد أصاب الانهيار الأنظمة السياسية ،والاجتماعية ،والاقتصادية بسبب الهجمة المغولية في المشرق ،والصليبية (الإسبان والبرتغال) في المغرب والأندلس .وفقدت البلاد العربية وحدتها ،واضطربت أحوالها السياسية ،والاقتصادية ،والاجتماعية ،وبرزت فيها وحدات سياسية ضعيفة [1].

وفي هذه الظروف دولة المماليك ،التي استطاعت أن توحد بلاد المشرق العربي والإسلامي ،وتعيد لها أهميتها الحضارية والتاريخية ،ويمكن إجمال دور المماليك في النقاط التالية [2]:

1- نجاح دولة المماليك في إنقاذ المشرق العربي من أعظم خطر ظل يهدد المنطقة ،والمتمثل في الاجتياح المغولي في القرن 13م ،وقد تحقق ذلك بتظافر الجهود والاتحاد بين بلاد الشام ومصر ،وتم تحقيق النصر في معركة عين جالوت في سنة 1250م .

---

[1] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب : **تاريخ العرب الحديث** ،الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن 1989 ،ص 9.

[2] الغالي غربي: المرجع السابق ، ص 53 .

2- تزعم المماليك للعالم الإسلامي ،وتأكيد هذه الزعامة بانتقال مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة ؛باستقدام الخليفة العباسي المستنصر بالله في سنة 1262م ،وبلك أصبحت مصر قاعدة للخلافة الإسلامية ومحط أنظار المسلمين .

2- جذور الصراع العثماني المملوكي (1485-1491) :

كانت العلاقات العثمانية المملوكية قد توترت في عهد السلطان محمد الثاني ،فقد انخرطت الدولتان في صراع على النفوذ بين صفوف القبائل التركمانية التي تفصل بينهما .وقد أدت حوادث مختلفة إلى تأزم الوضع بين السلطان المملوكي قايتباي تجاه نجم ،والسلطان العثماني بايزيد الثاني (1481-1512) [1].بسبب تأييد السلطان المملوكي للأمير جم شقيق السلطان بايزيد الثاني ،عندما وقع الصراع بينهما حول العرش ،وفرار جم إلى المماليك ،لكنه رغم ذلك هزم أمام أخيه [2].

ويعود أصل الصراع إلى الحماية التي قدمها العثمانيون إلى أمير ذو القادر علاء الدولة ،بعد تهديد المماليك له ،لكن علاء الدولة وحليفه الوالي العثماني يعقوب باشا والي قيصرية ؛تعرضوا لهزيمة على أيدي الجيش المملوكي وحلفائه التركمانيين في سبتمبر من سنة 1483م ،فأرسل العثمانيون جيشا إلى التركمانيين بقيادة قره جوز باشا ،الذي استولى على عدة أماكن من بينها أضنه وتارس في ماي من سنة 1485م .ولكن بعد وصول الجيش المملوكي تعرض

---

[1] روبير منتران :**تاريخ الدولة العثمانية** ،ترجمة :بشير السباعي ،دار الفكر للدراسات للنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية 1993 ،ص157 .

[2] محمد السيد الدغيم : المرجع السابق ،ص ص 379-439 .

الجيش العثماني للهزيمة ،مما اضطر العثمانيين إلى الانسحاب من أضنه وتارس في ربيع سنة 1486م [1].

لن يتخلى المماليك عن صراعهم مع العثمانيين ،ويحاولون الانفتاح على المسيحيين من اجل التوصل إلى الإفراج عن الأمير جيم شقيق السلطان بايزيد ،الذي كان قد لجأ إلى البابا الكسندر السادس في روما ،من أجل استخدمه للضغط على العثمانيين ،والذي كان بدوره يعد حملة لاسترجاع العرش من أخيه السلطان بايزيد الثاني .لكن العثمانيين تعرضوا لهزيمة جديدة على يد المماليك في 7 أوت من سنة 1488م ،في سهل أغانشايري بين مدينتي أضنة وتاريس ،وفي محاولة أخرى للعثمانيين من أجل الحفاظ على أطماعهم في المنطقة ،أيّد العثمانيون شاه بوداك من إمارة آل ذو القادر ،في محاولته الرامية إلى انتزاع السلطة من الأمير علاء الدولة ،الذي انتقل إلى صف المماليك المنتصرين ، وسوف تنتهي هذه المحاولة بهزيمة أخرى [2].

وفي سنة 1490م يحاصر المماليك مدينة قيصرية ،وينشون الخراب في ربوع كرمان ،ويستعد السلطان بايزيد الثاني للخروج بنفسه في حملة ضدهم ،لكن الغلبة كانت دائما لصالح المماليك ،لكن تكاليف الحرب كانت باهظة بالنسبة للمماليك فقد انهكت الحرب سوريا ،واضطرت الدولتان إلى عقد الصلح في ماي من سنة 1491م ،تخلى بموجبه العثمانيون عن أضنة وتارس[3].

---

[1] روبير منتران :المصدر السابق ،ص 157 .

[2] المصدر نفسه ،ص ص 157-158 .

[3] نفسه .

ومما سبق يمكن القول أن منطقة المشرق العربي تعرضت إلى الكثير من الهجمات الخارجية ، سواء الحملات المغولية المتتالية ،أو الحملات التركمانية ،أو الحملات الصليبية المتواصلة ،والتي قضت على الوحدة السياسية للمنطقة ،وقسمتها إلى مناطق للنفوذ بين تلك القوى الغازية ،إلا أن توحدت مجددا مع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي عن طريق المماليك ،الذين أعادوا الخلافة العباسية ،وأوقفوا التهديدات الخارجية للمنطقة ،إلا أن ذلك لم يدم طويلا فقد ضعفت دولتهم بحلول القرن الخامس عشر الميلادي ،بسبب عدة عوامل وظروف ذكرت في هذه المحاضرة .أما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية فإن الأوضاع لم تكن أحسن من السياسية .

المحاضرة التاسعة : التوسع العثماني في المشرق العربي (تابع) :

الإشكالية : ماهي الظروف والعوامل التي أدت بالعثمانيين إلى التوجه إلى المشرق الإسلامي؟ .

1- التهديد الصفوي الشيعي للعثمانيين :

قامت الأسرة الصفوية [1]في إيران ،وتزعم الشاه إسماعيل (1500-1524) حركة قومية دينية ، عملت على توحيد إيران ونشر المذهب الشيعي في البلاد المجاورة لها ،فغزا العراق في سنة 1508م ؛ لأنه يضم مقابر أئمة الشيعة في النجف وكربلاء ،وأخذ الشاه إسماعيل على إثارة العثمانيين بشتى الطرق ، فأصبحت إيران ملجأ الفارين من وجه السلاطين العثمانيين .كما أخذ الصفويون يبثون دعوتهم الشيعية في الأناضول معتمدين على الأقليات الشيعية ،المنتشرة هناك للقيام بثورة ضد الحكم العثماني السني .ثار الشيعة ضد الحكم العثماني في السنة الأخيرة لحكم بايزيد الثاني ،ولكن السلطان سليم أخمد الفتنة ،وشرع في تنفيذ سياسة الاضطهاد ضد الشيعة المقيمين في الدولة العثمانية ،ففرقهم في الولايات العثمانية الأوربية ،فرد الشاه إسماعيل

---

[1] ينتسب الصفويون إلى الشيخ الصوفي صفي الدين الجيلاني (1250-1334) ،وكان رئيسا لشعبة دراويش ،وقد توارث أبناؤه على خلافة الشعبة ،فكان منهم حفيده الخواجا علي الذي تعاون مع القائد المغولي تيمورلنك ،أثناء غزوه للأناضول ،إلى أن وصلت الرئاسة إلى الشيخ جنيد بن إبراهيم ،الذي قام بنشاط عسكري في منطقة شيروان ،وجمع حوله قوة عسكرية تكونت من أكثر من عشرة ألآف مقاتل ،وتحولت المشيخة إلى حركة سياسية قائمة على القوة .مما أثار مخاوف شيروان شاه ،الذي هزم جنيد وقتله في سنة 1447م ،ثم قتل ابنه حيدر من بعده بعد أن كثر اتباعه ،واعلم السلطان بايزيد الثاني بذلك .فرّ أبناء حيدر إلى دولة الآمه قيونلو (الخروف الأبيض) ،وانتهزوا فرصة اندلاع حرب أهلية ،فتزعم إسماعيل بن حيدر الذي تلقب بالشاه ،فاستولى على تبريز في سنة 1502م ،وأسس دولة شيعية ،بمساعدة قبائل التركمان وضم العراق ،وكانت دولتهم الشيعية المذهب تحيط بها دول سنية وهي :الأوزبك في تركستان ،والعثمانيون في الأناضول ،والمماليك في الشام ومصر .،والمغول في الهند ،فلم يجد الصفويون حليفا إلا البرتغاليين .للاطلاع أكثر ،ينظر :جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ،ص ص 28-29.

الصفوي على ذلك بإقامة مذابح عامة ضد السنة في بلاده ،وتطورت المذابح إلى حرب بين الدولتين [1].

ويمكن أن نوجز عوامل الصراع بين العثمانيين والصفويين كالتالي[2]:

– مشاكل الحدود وتداخلها بين الدولتين ،فقد حاولت الدولتان العثمانية والصفوية القضاء على الإمارات المغولية والتركمانية ،التي كانت في شمال العراق ،مما أدى إلى تداخل الحدود بين الدولتين ، وتأرجح ولاء الإمارات الحدودية بينهما .

– محاولة الدولة الصفوية نشر المذهب الشيعي في الأناضول ،وتحريض الأقليات الشيعية داخل أراضي الدولة العثمانية على الثورة ضد الحكم العثماني السني ،وقيام الشاه إسماعيل بمذابح لسكان الحدود السنة .

– تشجيع الدولة الصفوية بعض الأمراء العثمانيين للتمرد على الدولة العثمانية ،واستقبالها لهم .

– العداء الشخصي الذي نشأ بين سليم الأول وإسماعيل الصفوي ،وتبادلهما الرسائل العنيفة .

2– معركة جالديران 1514م ونتائجها :

بعد توتر العلاقات بين السلطان سليم والشاه إسماعيل ،أعلن السلطان الحرب على الشاه وتوجه من مدينة أدرنة باتجاه مدينة تبريز في شهر مارس من سنة 920هـ/ 1514م ،وقد السلطان سليم الجيش بنفسه متوجها إلى عاصمة الصفويين تبريز ،ورغم محاولة الجيش الصفوي انهاك الجيش العثماني مستغلين تعب الجيش العثماني ،إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك ،ووصل العثمانيون إلى مدينة تبريز والتقى الجيشان في وادي جالديران في 23 أوت من سنة

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 27 .

[2] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص ص 18–19.

1514م ،وانتصر الجيش العثماني ،وفر الشاه ،وقتل عدد كبير من جنوده وأسر الكثير منهم ،كما أسرت احدى زوجاته .وفتحت المدينة أبوابها للسلطان في 4 سبتمبر من سنة 1514م ،فاستولى على أموال الشاه ،وأرسل عددا من صناع المدينة إلى القسطنطينية [1].

وبعد أن استراح السلطان ثمانية أيام بتبريز ،ترك المدينة نظرا لعدم توفر المؤونة الكافية لجيوشه ، حاول اقتفاء أثر الشاه لكنه توقف بسبب برودة الشتاء [2].ثم استولى السلطان سليم على أذربيجان وأخضع كردستان ،وديار بكر وماردين وشمال العراق ،وعاد بعد ذلك إلى استانبول .غير أن الموقف العسكري بعد جالديران لم يكن حاسما ،فهو لم يؤدي إلى انهيار إحدى الدولتين العثمانية أو الصفوية ،واتضح للعثمانيين أن الموقف يتطلب محاصرة الدولة الصفوية ،بالاستيلاء على المناطق المحيطة بها ، ومن هنا يتضح أن الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر كان حلقة من حلقات الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية [3].

كان ضروريا على الدولة العثمانية ،محاصرة الدولة الصفوية الشيعية وإبعادها عن الأماكن المقدسة حتى لا تقع تحت نفوذها ،وبالتالي التوجه إلى مد النفوذ العثماني إلى المشرق العربي لحمايته من المد الشيعي الصفوي.

3- أسباب النزاع بين العثمانيين والمماليك :

إذا كانت محاربة العثمانيين للدولة الصفوية ،تعود أساسا إلى تهديد الدعوة الشيعية للمذهب السني في الدولة العثمانية ،وللعالم الإسلامي السني عموما ،فإن محاربة الدولة العثمانية

---

[1] محمد فريد بك :المرجع السابق ،ص 190 .

[2] محمد فريد بك :المرجع نفسه .

[3] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 28 .

للمماليك في البلاد العربية ،وقضائها على دولتهم التي دامت لقرون ،يحتاج إلى تفسير واضح للعوامل الحقيقية ،التي جعلتهم يتوجهون إلى مثل هذا التصرف .

ويمكن إجمال عوامل الصراع بين العثمانيين والمماليك ؛في عدة أسباب مرتبطة بالطرفين وبسياساتهما الخارجية ،وأهدافهما وتطلعاتهما ،أو بالأوضاع العامة السائدة في منطقة البلاد العربية ،وهذه العوامل هي كالتالي [1]:

– هناك من يرى أن النزاع البرتغالي العثماني ،يعتبر سببا بارزا من أسباب توجه فتوحات العثمانيين إلى المشرق العربي ،لحمايته من الخطر الأوربي أو البرتغالي تحديدا ،الذي كان قد بدأ يظهر حول المنافذ البحرية للمشرق العربي ،وحاول أن ينفذ عن طريق مضيق باب المندب ،إلى البحر الأحمر بالتحالف مع حكام الحبشة المسيحيين .

– الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة المماليك حول تخطيط الحدود في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لأسيا الصغرى ،وبين شمالي أسيا ؛فقد كانت هذه المنطقة مقسمة إلى إمارات وقبائل تأرجح ولاؤها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك ،وكان هذا الوضع مبعث توتر في العلاقات بين الدولتين ،ومصدر نزاع مستمر بينهما ؛لذلك أراد السلطان سليم حسم قضية الحدود بالسيطرة كليا على هذه المنطقة .

– إن السلطان قنصوه الغوري (1501–1516) سلطان دولة المماليك أوى إليه بعض الأمراء العثمانيين الفارين من وجه السلطان العثماني سليم الأول ؛وعلى رأسهم أخيه الأمير أحمد ،لأن الغوري أراد أن يتخذ من هؤلاء الأمراء ،أداة لإثارة المزيد من المتاعب في وجه السلطان سليم .

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص ص 29–30 .

– السياسة التي اتبعها السلطان الغوري أثناء الحرب ،التي قامت بين السلطان سليم والشاه إسماعيل الصفوي ،فقد وقف الغوري موقفا غير ودي من العثمانيين ،دون أن يفيد الشاه إسماعيل على الإطلاق ،فهو لم يلتزم الحياد التام بين العثمانيين والصفويين ،ولم يتخذ موقفا عدائيا صريحا من السلطان سليم ،بل اكتفى بتأييد شكلي للشاه إسماعيل .

بالإضافة إلى العوامل السابقة الذكر ،هناك عوامل أخرى يمكن اعتبارها مباشرة في تأزم العلاقات بين الدولة العثمانية ،والمماليك ،والتي ساهمت في إشعال فتيل الحرب ،بين الدولتين وهي[1]:

– حشد تحالف مكون من إمارة ذي القادر التركمانية ،الواقعة شمال بلاد الشام ،وملك جورجيا ، والصفويين ،المماليك ،ضد الدولة العثمانية .

– شعور السلطان المملوكي قنصوه الغوري بالضيق الشديد ،نتيجة لضم السلطان العثماني سليم الأول ؛إمارتي ذي القادر والبستان ،الفاصلتين بين حدود الدولة العثمانية ودولة المماليك ،وقتل أميرها علاء الدولة في سنة 1515م حليف المماليك ،وزاد من غضبه أن السلطان سليم الأول ،أرسل له رؤوس علاء الدولة ،وولده ،ووزيره .

– عدم سماح المماليك للعثمانيين بالسير ضمن أراضي الدولة المملوكية ،للوصول إلى البرتغاليين لمنازلتهم ،خوفا على حكمهم ،وعلى مصالحهم ،وخوفا من جيرانهم الصفويين ،الذين يعتبرون السماح لدخول العثمانيين أراضي المماليك اعتداء عليهم .

---

[1] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 34 .

– كانت الدولة العثمانية في حالة ازدهار وتقدم ،وانتصارات مستمرة ،الأمر الذي جعل السلطان سليم الأول ،الذي يشعر بأحقيته في تزعم العالم الإسلامي ،وضرورة حماية الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) ،خاصة مع عدم قدرة المماليك على حمايتها .

– تأكد العثمانيين من ضعف قوة المماليك بعد هزيمة الأسطول المملوكي ،أمام الأسطول البرتغالي في معركة ديو في سنة 1509م ،مقابل مدينة جدة ثم تخريبها .

– سوء الأحوال السياسية الناتجة عن الانقسامات والخلافات بين قيادات المماليك ،وسوء الأحوال الاقتصادية الناتجة عن تحول الطرق التجارية عن مصر ،هذه الوضعية جعلت الرعية في دولة المماليك نظر إلى العثمانيين وفي مقدمتهم السلطان سليم الأول نظرة احترام وتقدير ،وتعطيه الشرعية لحكم المسلمين باعتباره خليفة للمسلمين .

ومما سبق يمكن القول أنه نتيجة لهذه الأسباب بات واضحا أن علاقات الدولتين العثمانية والمماليك ،ستتحولان إلى حالة صراع مباشر ،وأن الدولتان ستدخلان في حرب مباشرة ،على الرغم من أنهما على المذهب السني ،لكن المصالح السياسية هي التي تحكمت في علاقاتهما في هذه المرحلة وفرضت على الدولة العثمانية القوة الصاعدة ،القضاء على دولة المماليك الضعيفة .

المحاضرة العاشرة : التوسع العثماني في المشرق العربي (تابع) :

الإشكالية : ماهي المراحل التي تتبعها العثمانيون لضم بلاد المشرق العربي لسيادتهم ؟ كيف كان موقف شعوب المنطقة من هذا الفتح ؟وما هو رد فعل المماليك ؟ .

1- ضم العثمانيين لبلاد الشام :

1.1- تعاطف سكان بلاد الشام مع العثمانيين :

يبدو جليا من خلال كلام ابن إياس مؤرخ المماليك ،إن المماليك كانوا يشعرون منذ فتح العثمانيين للقسطنطينية بقرب الانقضاض عليهم ،فقد أخذت دولة إسلامية قوية تنمو على حدودهم الشمالية، تشق طريقها الخاص .ومن جهة أخرى أن سلطنة المماليك وصلت إلى أدنى درجات الانحلال الاجتماعي .وأمام العجز المملوكي الخارجي عن مواجهة غزو الأوربيين ،ووقف الانحلال الاجتماعي ،بدأت أنظار المسلمين تتجه تدريجيا نحو الخلافة الإسلامية المتنامية ،والمتمثلة في الدولة العثمانية ،التي بلغت أوج قوتها في القرن السادس عشر .وحسب ابن إياس ((...**أن شائعات وصلت إلى مصر عن العدل الزائد عن أولاد عثمان وهم في بلادهم قبل أن يدخل سليم الأول إلى مصر ...**)) [1].

وفي بلاد الشام كان التعاطف مع العثمانيين قد بلغ أشواطا بعيدة قبل حصول معركة مرج دابق ، ويتضح ذلك من خلال مضمون نقاش ورد بين السلطان الغوري وأمرائه ،حيث وجهوا له الكلام ((**يامولانا السلطان غالب البلاد الحلبية خرجت عن أيدينا ،وصار بيد ابن عثمان**

---

[1] نقلا عن :علي عبد المنعم شعيب :**التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر** ،دار الفارابي ،ط1 ،بيروت ،لبنان 2005 ،ص ص 13-14 .

،وخطب له فيها باسمه ،وضربت السكة باسمه ...وفسدت أحوال المملكة ،وغالب الرعية بحلب وغيرها من ظلم النواب ،وجورهم يميلون إلى ابن عثمان لأجل عدله في الرعية ،وهذه الأحوال غير صالحة)) .وكان لأخبار الانتصارات ،التي حققها العثمانيون في أوربا صدى في العالم الإسلامي ،فقد ظهرت منشورات داخل الدولة المملوكية تمجد العثمانيين .ومن جهة أخرى ظهرت المشاعر المعادية في الأوساط العثمانية ،بعد أن رفض المماليك التعاون مع العثمانيين في حربهم ضد الصفويين في سنة 1502م ،وبذلك تحول المماليك تدريجيا إلى عدو في نظر العثمانيين[1].

بعد انتهاء السلطان سليم من الصفويين وهزيمتهم في جالديران سنة 1514م ،بدأ في الاستعداد لمهاجمة المماليك ،وقرر ذلك في سنة 1516م ،ولما علم السلطان قنصوه الغوري بتأهب السلطان سليم لمحاربته ،أرسل له رسولا لعقد الصلح ،لكن السلطان سليم طرد السفير ،سار بجيشه إلى بلاد الشام قاصدا وادي النيل [2].

1.2- معركة مرج دابق وضم بلاد الشام :

قرر السلطان سليم حسم أمر إمارة ذي القادر ،التي تحظى بتأييد للمماليك ،والتي تعاون أميرها علاء الدولة مع الصفويين في صراعهم مع العثمانيين ،عندها أعلن السلطان الغوري التعبئة استعدادا للحرب .ونتيجة لذلك تولدت قناعة لدى الشعب بان الصراع مع العثمانيين لا مبرر له . فبدأت فئات الشعب في بلاد الشام بتقويض تدابير التعبئة العامة ،بل انخرطوا في أعمال معادية للحكومة بصورة مباشرة ،وخرجت قرى كثيرة باسرها عن طاعة السلطات

---

[1] علي عبد المنعم شعيب :المرجع نفسه ،ص ص 14-16 .

[2] محمد فريد بك المحامي :المرجع السابق ،ص 192 .

المملوكية ،وبدا التفسخ في الأوساط الحاكمة ،وبدا كثير من القادة العسكريين ،وعلى رأسهم خاير بك عامل حلب ،يتعاطف مع العثمانيين ،فيما راح نائب الشام يرسل إلى السلطان الغوري ،رسائل تموه عن تحركات العثمانيين على الحدود .وفي هذا الوضع المتفاقم حاول السلطان الغوري تأخير اندلاع العمليات العسكرية بكل الوسائل ،لكنه فشل في ذلك [1] .

وقعت معركة مرج دابق وهي قريبة من حلب ،بين الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الأول ، الذي كان عمره 46 سنة ،والجيش المملوكي بقيادة السلطان قنصوه الغوري ،والذي كان عمره 66 سنة ،وكان الغوري قد اصطحب معه الخليفة العباسي المتوكل إلى أرض المعركة ،وكان الجيش العثماني مزود ب 300 مدفع ،ومكون من 60000 جندي ،أما الجيش المملوكي فكان مكون من 80000 جندي ،لكن المماليك لم يستغلوا التفوق العددي[2].

التقى الجيشان في مرج دابق شمالي حلب في 24 أوت سنة 1516م ،وكان مع السلطان الغوري نائبه في دمشق الغزالي ،والأمير فخر الدين المعني نائبه على لبنان ،فاشتعلت الحرب بين الجيشين ،فاستمال السلطان العثماني سليم ،الغزالي والمعني فانحازا إليه ،ورجحت كفة الحرب للعثمانيين ،فانهزم المماليك ،وقتل السلطان الغوري ،وخلفه ابن أخيه السلطان طومان باي ،فانسحب المماليك إلى غزة فلحقهم العثمانيون وهزموهم ،ففر طومان باي ومن بقي من قواته إلى مصر[3].

---

[1] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ،ص ص 16-17 .

[2] يلماز أوزتونا :المصدر السابق ،ص 222 .

[3] بولس مسعد :**الدولة العثمانية في لبنان وسورية حكم أربعة قرون 1517-1916** ،دار الكتب المصرية ،ط1 ،مصر 1916 ،ص ص 9-10 .

وعن تفاصيل هزيمة المماليك في الشام ،فبعد أن ذاع نبأ مقتل الغوري[1]،ولى الجنود المماليك هاربين ،وأغلق سكان حلب باب مدينتهم في وجه المماليك الهاربين ،بينما فتحت المدينة أبوابها للعثمانيين ،واستقبل السلطان سليم بالحفاوة ،والترحاب ،وأقيمت خطبة الجمعة باسمه ،ومكث فيها ثمانية عشر يوما نظم شؤونها ،ثم توجه إلى حماة ،ثم حمص ،ثم مدينة دمشق ،ثم قصد أمراء لبنان ،وتوالت مدن طرابلس ،نبلس ،والقدس وغزة .فرح الناس بالحكم الجديد ،ورحبوا به ،واعتقدوا أن السلطان العثماني سليم الأول ؛قادر على رفع مستوى البلاد من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والإدارية كافة [2].

2- ضم العثمانيين لمصر:

2.1- معركة الريدانية :

كان المماليك قد اختاروا بعد مقتل السلطان الغوري ،ابن أخيه طومان باي سلطانا لدولة المماليك ،والذي استعد لمواصلة الحرب ضد العثمانيين [3].وكان السلطان سليم قد أرسل سفارة إلى طومان باي ؛يعرض عليه الاعتراف به كحاكم تابع له .لكن سفارة السلطان سليم لم تنجح ،لان طومان باي قام بإرسال جيش إلى غزة لاستردادها في ديسمبر من سنة 1516م ،لكن الجيش المملوكي هزم بسبب قوة مدفعية العثمانيين .فتقدم العثمانيون نحو مصر ،أراد طومان باي التصدي لهم عند الصالحية ،قبل أن يصلوا موارد المياه والرعي ،لكن كبار قادته اصروا

---

[1] هو الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قنصوه الغوري الظاهري الأشرفي ،اصله من مماليك الأشرف الظاهر خشقدم ،بويع له بالملك في سنة 906 هـ ،كان له العديد من المنشآت العمرانية خاصة في القاهرة ،قتل في معركة مرج دابق على يد العثمانيين في سنة 1516م .ينظر :محمد فريد بك المحامي :المصدر السابق ،ص 192 .

[2] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص ص 36-37 .

[3] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 30 .

على الوقوف عند معسكر الريدانية خارج القاهرة ؛لملاقاة الجيش العثماني[1].

التقى العثمانيون والمماليك في الريدانية في 22 جانفي 1517م ،فانهزم المماليك ،وفتحت أبواب القاهرة ،وتقرر مصير مصر خلال ساعة واحدة ،ففر طومان باي ،ولكن تم إلقاء القبض عليه ،بعد أن سلمته إحدى قبائل البدو للعثمانيين ،وأعدم في باب زويلة بالقاهرة .وقد وصف المؤرخ المصري ابن إياس إعدام السلطان طومان باي بقوله ((**فور أن أسلم الروح ارتفعت صيحة مدوية من الحضور ،إذ لم يشهدوا من قبل قط شنق أي من سلاطين مصر على باب زويلة ،لم يحدث هذا أبدا**)) [2] .

مكث السلطان سليم لبعض الوقت في القاهرة ،فقد امتدت إقامته ما يقرب تسعة أشهر، فاستقبل سفراء الدول الأوربية ،ونظم البلاد ،ثم عاد إلى الأستانة ،مصطحبا معه الخليفة العباسي المتوكل على الله ،وقد اختلف الرواة حول صحة تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة ،فيذكر البعض أنه ((**تنازل عن الخلافة وسلم الأثار النبوية الشريفة البيرق ،والبردة واللواء ،وسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين ،ومنذ ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميرا للمؤمنين ،وخليفة لرسول رب العالمين**)) [3].

في حين ذكر البعض أن ((**موت الخليفة كان خاتمة آخر فصل في تاريخ الخلافة الإسلامية ،وسواء تنازل الخليفة عن منصبه للسلطان العثماني ،أم لم يفعل فإن الحقيقة**

---

[1] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 38 .

[2] نقلا عن :يوجين روجان :**العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر** ،ترجمة :محمد إبراهيم الجندي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،ط1 ،جمهورية مصر العربية 2011 ،ص 31 .

[3] محمد فريد بك المحامي :المرجع السابق ،ص 194 .

الثابتة ؛هي أن حاكم القسطنطينية ظل يتمتع بالتدريج بامتيازات الخلافة))[1].

في حين أشارت كتابات أخرى إلى أن السلطان سليم الأول ،بقي في القاهرة مدة قصيرة قدرتها بستة أشهر فقط ،ورغم ذلك فقد وضع فيها الأسس ،والدعائم الأولى لنظام الحكم العثماني في مصر ،وبقية البلاد العربية .وهذه الأسس تقوم على الحكم غير المباشر ،اعتمادا على وظائف ثلاثة للدولة العثمانية أمام رعاياها وهي :

- توفير الأمن والحماية للرعية والدفاع عنها ،بإنشاء جيش .
- خلق جهاز قضائي للفصل بين الناس .
- خلق جهاز مالي لتحصيل الضرائب المفروضة على الإنتاج [2].

إن نجاح العثمانيين العسكري في بلاد الشام ومصر ،وإشرافهم على البحر المتوسط ،نبّه إسبانيا والبندقية إلى مدى قل وزنها السياسي ،والعسكري ،والديني ،وخطورة هذه الدولة الناشئة ،حتى أن البابا ليون العاشر ،الذي كان يخشى أن تتعرض سلامة أوربا للخطر ،شرع يعدّ حربا صليبية جديدة . كما استفاد العثمانيون من موقع بلاد الشام لضرب الإسبان ،والبنادقة وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس في عرض البحر المتوسط [3].

3- ضم الحجاز للسيادة العثمانية :

دخل الحجاز دخولا سلميا تحت السيادة العثمانية ،إذ رأى الشريف بركات بن محمد (1495-1524) شريف مكة ،أن يتحول بولائه للعثمانيين ،بعدما كان إقليم الحجاز تحت

---

[1] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص 25 .

[2] الغالي غربي :المرجع السابق ،ص ص 63-64 .

[3] إبراهيم سعيود :**القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة ،القرصنة الإيطالية نموذجا** ،في مجلة **الواحات للبحوث والدراسات** ،العدد 11 ،المركز الجامعي غرداية ،الجزائر 2011 ،ص 148 .

السيادة الاسمية للمماليك .فقد كانت مصر ترسل كل عام الأموال والغلال لفقراء مكة والمدينة ،والمرتبات والهدايا لأشراف الحجاز .ولما دخل السلطان سليم القاهرة ،وجد بها بعض القضاة ورجال العلم من الحجاز ؛ كان السلطان الغوري قد اعتقلهم ،فاطلق السلطان سليم سراحهم ،فأشاروا عليه بأن يكتب إلى شريف مكة الشريف بركات ،يدعوه إلى الدخول في طاعة العثمانيين .استجاب بركات للدعوة التي تلقاها ،وأرسل ابنه (أبو نمي) إلى القاهرة يحمل التهاني للسلطان سليم ،ومفاتيح الحرمين الشريفين . وقد أكرم سليم وفادة الابن ،وأعطاه تفويضا بحكم والده ،وقرئ التفويض في مكة المكرمة ،وخطب باسم السلطان سليم ،واحتفظت الدولة العثمانية بنظام الشرافة ؛كما كان في أيام دولة المماليك[1].

واذا كان التفويض للشريف بركات قد قوّى مركزه أمام خصومه ،فقد جعل من السلطان سليم خادما للحرمين الشريفين ،وجعل مكانته أقوى أمام الشعوب الإسلامية ،وبخاصة أن الدولة أوقفت أوقافا كثيرة على الأماكن المقدسة .وقد أدى ضم العثمانيين للحجاز ،إلى بسط السيادة العثمانية في البحر الأحمر ؛مما أدى إلى دفع الخطر البرتغالي عن الحجاز والبحر الأحمر[2].

ومما سبق يمكن القول أن ضم العثمانيين لمصر ،جعلهم يرثون ممتلكات المماليك ،وجعلهم يفكرون في ضم شبه الجزيرة العربية ،والبلاد العربية عموما .فقد سارعت الأقاليم التي كانت تابعة للماليك بتقديم فروض الطاعة للعثمانيين ،منذ سقوط القاهرة على يد السلطان سليم الأول ،وبالتالي ورث العثمانيون الأرض ،وورثوا الشرعية الدينية والروحية ،التي خولت لهم حكم العالم الإسلامي .

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 31 .

[2] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 41 .

المحاضرة الحادية عشر : التوسع العثماني في المشرق العربي (تابع) :

الإشكالية : لماذا سارعت الدولة العثمانية إلى ضم الأقاليم العربية التي كانت تابعة للمماليك ؟وما هو موقف قادة تلك الأقاليم من الزعامة العثمانية ؟.

1- ضم العثمانيين لليمن والجزيرة العربية :

كان اليمن تابعا للمماليك ،وعندما انهار النظام المملوكي في مصر ،ارسل حاكم اليمن إسكندر الجركسي ،وفدا إلى السلطان سليم الأول ؛ليقدم له فروض الولاء والطاعة ،فوافق السلطان العثماني سليم على إبقائه في منصبه .ولكن السيطرة العثمانية على اليمن كانت ضعيفة ؛ويعود ذلك إلى الصراعات الداخلية بين القادة المماليك ،وازدياد نفوذ الأئمة الزيدية بين قبائل الجبال ،إضافة إلى الخطر البرتغالي ،الذي كان يهدد السواحل اليمنية ،ونظرا لأهمية اليمن في حماية الأماكن المقدسة ، ولأهمية موقعها للسيطرة على البحر الأحمر والخليج العربي ،فقد أرسلت الدولة العثمانية عدة حملات بحرية لحماية المنطقة ،منها حملة سليمان باشا الأرناؤوطي في سنة 945هـ/1538م[1].

نجح العثمانيون في إعادة فتح اليمن ،وسيطروا على تهامة وعدن ،غير أن الزيديين قاوموا الحكم العثماني ،مما جعل الدولة العثمانية ترسل حملة أخرى في سنة 1568م ؛بقيادة سنان باشا لفتح اليمن مرة ثانية ،وقد مد العثمانيون نفوذهم إلى عمان والأحساء ،والبحرين والكويت .وبذلك أصبحت شبه الجزيرة العربية ملحقة بالدولة العثمانية اسميا ،كما جابه

---

[1] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 41 .

العثمانيون البحرية البرتغالية ،وانتزعوا منها مضيق هرمز ومسقط ،وأجبرت البرتغال عن التخلي عن مشروعاتها الاستعمارية في البحر الأحمر[1].

2- ضم العثمانيين للعراق :

سيطر العثمانيون على شمال العراق ؛الموصل والمناطق المجاورة لها بعد انتصار السلطان العثماني سليم على الصفويين في معركة جالديران في سنة 1514م ،والتي انهزم فيها الصفويون بسبب استخفافهم بقوة الجيش العثماني [2].وعين السلطان سليم أحد قواده فرهاد باشا ،لإكمال احتلال الولايات المتاخمة للدولة العثمانية ،وقد كلف فرهاد باشا وهو بيقلي محمد باشا ،للسيطرة على الموصل وأربيل وكركوك ،فقام باحتلالها في سنة 1515م ،غير أن الحمك العثماني في هذه المناطق ظل قلقا بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السكان من العثمانيين[3].

وقد أعدّ السلطان سليم حملة لاحتلال العراق وطرد الصفويين ،لكن الموت عاجله في سنة 1520م ، فقام ابنه السلطان سليمان القانوني (1520-1566) ،بتنفيذ الخطة القائمة على ضرب الصفويين في العراق للانطلاق نحو الخليج العربي .استمال السلطان سليمان حاكم بغداد ذو الفقار علي بيك ، الذي اظهر ولاءه للعثمانيين بعد وفاة إسماعيل الصفوي ،لكن الشاه طهماسب ابن إسماعيل الصفوي ،قاد حملة ضد بغداد في سنة 1530م ،وقتل حاكمها ذو الفقار ،وأعادها لسيادة الصفويين لذلك قاد العثمانيون حملة أخرى لتطهير بغداد نهائيا من

---

[1] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص 26 .

[2] أوقاي ترياقي أوغلو :**السلطان سليمان القانوني سيد العصر الرائع** ،ترجمة :عبد القادر عبد اللي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط1 ،أبوظبي 2013 ،ص 111 .

[3] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 42 .

الصفويين في سنة 1534م ،وعين عليها سليمان باشا واليا ،والذي أعاد الطمأنينة والاستقرار لسكانها ،ونظم الإدارة الضرائب [1].

وبعد أن قضى السلطان سليمان القانوني أربعة اشهر ببغداد ،رتب الإدارة الداخلية بها وزار قبور الأئمة العظام ،وقبر الخليفة الراشد الرباع علي بن أبي طالب ،وقبر ابنه الحسين سار إلى مدينة تبريز سنة 1535م ،بعد أن ترك مع واليها سليمان باشا ألفا جندي لحمايتها [2].

وفي سنة 1541م ثار والي البصرة الشيخ راشد بن مغامس ضد العثمانيين بعد أن كان تابعا لوالي بغداد ،لذلك قاد حاكم بغداد العثماني إياس باشا حملة ضد البصرة في سنة 1546م ،وقضى على أسطولها النهري وأحرقه ،ومنع أية محاولة من طرف البرتغاليين لمساعدة الشيخ راشد ،واتبعت البصرة مباشرة للعثمانيين ،وأصبح إياس باشا أول وال عثماني لها .ورغم الفتح العثماني للعراق ،إلا أن ذلك لم يقضي نهائيا على الصراع العثماني – الصفوي على العراق ،فقد تمكن الصفويون من الاستيلاء على بغداد في سنة 1602م ،إلا أن ذلك لم يدم طويلا ،فقد أعاد السلطان العثماني مراد الرابع (1623–1640) فتح العراق في سنة 1638م ،وبذلك بقي العراق تحت الحكم العثماني إلى غاية الحرب العالمية الأولى[3].

لقد ورث السلاطين العثمانيون من المماليك مهمة حماية البحر الأحمر ،ومداخله من أطماع البرتغاليين ،الذيم كانوا قد تحالفوا مع خصمهم الشاه إسماعيل الصفوي ،وبذلك اتخذ العثمانيون منذ قضائهم على المماليك مباشرة ،التدابير لطرد البرتغاليين من البحر الأحمر

---

[1] جميل بيضون وأخرون :المرجع نفسه ،ص 43 .

[2] محمد فريد بك المحامي :المصدر السابق ،ص 223 .

[3] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 44 .

،وبذلوا جهودا كبيرة لبناء أسطول قوي لمواجهة التحديات في البحر المتوسط ،وتحديات البرتغاليين في المياه الشرقية ،وازدادت بذلك قوتهم كثيرا منذ استيلائهم على البصرة ،وعدن وجنوب اليمن ،ولم يلبث أن أصبح الأسطول العثماني قوة كبيرة في منتصف القرن 16م[1].

وبذلك سلمت منطقة الجزيرة العربية بفضل قوة العثمانيين البحرية في البحر الأحمر ، من أخطار البرتغاليين وأطماعهم ،وتهديدهم للبقاع الإسلامية المقدسة في الحجاز ،وسعيهم إلى التحالف مع ملك الحبشة ،والعمل على تعطيل تجارة المسلمين مع الشرق ،لو استطاعوا السيطرة على عدن ،وعلى مدخل البحر الأحمر[2].

ومما سبق يمكن القول أن العثمانيين قطعوا الطريق على البرتغاليين ،ومنعوه من التوغل في منطقة البحر الأحمر ،والسيطرة على موانئ شبه الجزيرة العربية ،والاستحواذ على الطريق الرئيسي للتجارة العالمية آنذاك .

---

[1] إدريس الناصر رئيسي :المرجع السابق ،ص 41 .

[2] إدريس الناصر رئيسي :المرجع نفسه .

المحاضرة الثانية عشر : التوسع العثماني في المغرب العربي :

الإشكالية :ماهي العوامل التي دفعت بالعثمانيين إلى التوسع في بلاد المغرب ؟وماهي أهم مراحل ذلك التوسع ؟وكيف كان موقف سكان المغارب من الدولة العثمانية ؟.

سنتكلم في هذه المحاضرة عن التوسع العثماني في بلاد المغرب ،دون الإطناب لأن الطالب سبق وان تطرق لمادة تاريخ المغرب العربي الحديث في السداسي الثالث .ولتفاصيل مراحل ضم العثمانيين لبلدان المغرب الواحدة تلو الأخرى .وبالتالي سنناقش العناصر التالية :

1- ضم الجزائر للدولة العثمانية :

تعتبر الجزائر أول ولاية عثمانية في بلاد المغرب ،وقد تم ضمها للممتلكات العثمانية بعد استنجاد سكانها بالعثمانيين في سنة 1519م ،فقد توجه أعيان مدينة الجزائر بعد أن أشار عليهم خير الدين ،واستنجدوا بالسلطان العثماني سليم الأول ،وطلبوا منه إلحاق بلادهم وربط مصيرها بالدولة العثمانية ،ولك بسبب التهديدات الإسبانية لموانئ الجزائر ،وضعف سلطة بني زيان حكام تلمسان ،وتحالفهم مع الإسبان، فسارع السلطان إلى قبول مطلبهم ،وأرسل للجزائر قوة من سلاح المدفعية ،مع ألفين من الجنود الانكشارية ،كما سمح بالتطوع لرعاياه من المسلمين ،والانخراط في صفوف المجاهدين المتوجهين إلى الجزائر ،ونصب على رأسها خير الدين برتبة بيلر باي وأصبحت الجزائر إيالة عثمانية ربطت بالباب العالي .وشرع العثمانيون في تحرير موانئها ،ونصبوا على رأسها بيلرباي وكان خير الدين بربروس أول حاكم لها[1].

---

[1] عبد المنعم إبراهيم الجمعي :**المشرق والمغرب العربي دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر** ،كلية الآداب جامعة الفيوم ،القاهرة 2013 ،ص 169 .

2- ضم طرابلس الغرب للدولة العثمانية:

نظرا للموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به مدينة طرابلس الغرب ،وبسبب احتلالها من طرف فرسان مالطة ،وتحالفهم مع الإسبان ،وتهديدهم للعثمانيين وسكان المغرب ،والسفن التجارية وسفن الحجيج المسلمين ،كان ضروريا إخضاع المدينة ،وطرد فرسان مالطة منها ،لذلك كانت جهود درغوث رايس ،وهو أحد تلامذة خير الدين بربروس ،وقد نجح في ذلك بعد مساعدة الدولة العثمانية له ،وكذا دور الجزائر الكبير في تحرير طرابلس الغرب ،وضمها للدولة العثمانية في سنة 1551م ،وجعلها ولاية عثمانية شبيهة بإيالة الجزائر .فقد راسل سكان طرابلس السلطان العثماني يستنجدونه ،وطلبوا منه تخليصهم من فرسان القديس يوحنا (فرسان مالطة) ،فارسل السلطان جيشا بقيادة سنان باشا ،الذي تمكن من تحريرها ،وطرد فرسان مالطة منها ،لتصبح طرابلس الغرب إيالة عثمانية منذ سنة 1551م [1].

3- ضم تونس الحفصية بالقوة إلى الدولة العثمانية:

نجح العثمانيون في ضم تونس بالقوة سنة 1574م ،بعد محاولات عسكرية عثمانية متكررة ،بسبب التحالف الحفصي الإسباني ضد العثمانيين ،وبعد حملات كثيرة قادة كل من خير الدين بربروس وعلج علي ،وبعد صراع طويل مع الإسبان ،تمكن العثمانيون من ضم تونس بالقوة للدولة العثمانية بعد حملة كبيرة بقيادة سنان باشا في سنة 1574م ،وبعد أن تحالف القوات العثمانية مع قوات طرابلس الغرب وقوات إيالة الجزائر ،وتم إنهاء السلطة الحفصية المتحالفة مع الإسبان ،وتدمير كل التحصينات الإسبانية في مدينة حلق الوادي .وذلك بعد أن أرسل

---

[1] عبد المنعم إبراهيم الجمعي :المرجع السابق ،ص 180 .

السلطان العثماني قوة بحرية بقيادة سنان باشا ،الذي تمكن من تحرير تونس من الإسبان والقضاء على الأسرة الحفصية المتحالفة معهم ،وعين سنان باشا على رأسها حيدر باشا حاكما ، وكلفه بوضع نظام عثماني مشابه للنظام السائد في الجزائر [1].

أما المغرب الأقصى فقد رفض الانضواء تحت سلطة العثمانيين .

[1] ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني : **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ، ط1، المطبعة التونسية ، تونس 1286هـ /1870م ،ص 189 .

المحاضرة الثالثة عشر : النظام الإداري للبلاد العربية خلال العهد العثماني:

الإشكالية : كيف كانت سياسة الحكم العثماني ؟وهل أدخل العثمانيون تغييرات جديدة على النظام الإداري للمناطق التي فتحوها ؟أم انهم حافظوا على الموروث الذي وجدوه قبلهم ؟.

1- التقسيم الإداري العثماني للبلاد العربية :

حافظ العثمانيون في بداية حكمهم للبلاد العربية على نفس التقسيمات الإدارية السابقة ،ولاحقا أدخلوا بعض التغييرات الإدارية ؛لكنها لم تكن شاملة ،فقد استثنيت منها بعض الولايات ،التي كانت لها خصوصيات ،أبقيت لها تقسيماتها الإدارية السابقة .وقد ظهرت سمات النظام الإداري العثماني في عهد السلطان مراد الثاني (1574-1575) ،الذي قسم الإمبراطورية العثمانية إلى إيالات أو باشاوات ،وتتكون كل إيالة من سناجق أو الأولوية ،والسنجق من وحدات إدارية أصغر مساحة تعرف بالأقضية ،وهذه بدورها تقسم أحيانا إلى أقسام ثانوية تسمى ناحية [1].

وقد حاولت الدولة العثمانية أن تسير في حكم البلاد العربية ،التي خضعت لنفوذها ،بأسلوب يتناسب مع طبيعة هذه البلاد وعاداتها وتقاليد أهلها ،ونظم الحكم التي كانت سائدة فيها من قبل ،وفي نفس الوقت تتناسب وفلسفة الحكم العثماني ذاته .وقد وضع العثمانيون تقسيما إداريا للبلاد العربية ،التي خضعت لسيادتهم عرف بنظام الإيالات ،أو الولايات ،أو الباشوات .فقسمت بلاد الشام إلى ثلاث ولايات هي :ولاية حلب ،ولاية دمشق ،ولاية طرابلس ،وكان لكل ولاية استقلالها التام عن الأخرى ،وقد أدخلت عدة تعديلات خلال الحكم العثماني

---

[1] الغالي غربي : المرجع السابق ،ص 79 .

؛حتى أصبحت ولايات بلاد الشام هي :حلب ،دمشق ،طرابلس ،صيد ،عكا .أما مصر فقد جعلت ولاية متميزة ،من ولايات الدولة العثمانية ،بل كانت من الولايتين العثمانيتين المتميزتين ؛وهما مصر ،والأناضول [1].

أما العراق فقد قسم إلى أربع ولايات :بغداد ،البصرة ،الموصل ،شهرزور .أما الحجاز فقد بقي تحت حكم الأشراف ،مع إنشاء ولاية به قاعدتها جدة ،اعتبرت بمثابة قاعدة للحكم العثماني في الحجاز والبحر الأحمر ،كما اعتبر اليمن في الفترات ،التي خضع فيها للحكم العثماني ،ولاية عثمانية ،بينما بقي تحت سيطرة الإمامة الزيدية في الفترات الأخرى .أما المغرب العربي ،فقد تكونت فيه ثلاث ولايات خاضعة للحكم العثماني هي :الجزائر ،طرابلس الغرب ،تونس [2].

2- نظام الحكم العثماني في بلاد الشام :

على الرغم من أن بلاد الشام وقعت تحت حكم العثمانيين ،إلا أنه لم يقع تحت الحكم العثماني المباشر سوى القليل من المدن والقرى .وبقيت بقية البلاد ؛ولاسيما المناطق الجبلية ،تحت حكم أمرائها وشيوخها المتوارثين ،والذين كانوا كالسابق يعقدون الكونفدراليات فيما بينهم ،ويقومون بالحملات مع قواتهم ،ويخوضون الحروب ضد بعضهم البعض ،دون أن يسالوا الباشوات ،ويتمردون عليهم أحيانا ،ويجرى إقرار حقوقهم أحيانا أخرى من ديوان القسطنطينية مباشرة ،رغم الباشوات ودرء لتمرد الباشوات [3].

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحيم عبد الرحيم : **النظم الإدارية العثمانية في البلدان العربية** ،في **مجلة الدرة** ،العدد الأول ،السنة التاسعة ،شوال 1403هـ ،ص ص 96-124 .

[2] عبد الرحيم عبد الرحيم عبد الرحيم : المرجع نفسه ،ص ص 96-124 .

[3] قسطنطين بازلي: **سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني** ،ترجمة :طارق معصراني ،دار التقدم ،موسكو 1989 ،ص 28.

فقد كان الباشا يتعهد بان يدفع للباب العالي ؛مبلغا معينا من الإتاوة المفروضة على الباشالك (الباشالق) الخاضع له ،وبالمقابل تقدم إليه وبصورة كاملة دخول منطقته ،التي ينفق منها على قصره وجيشه .وكل ناحية تابعة له كان يفرض عليها بدوره مبلغا ،يتفق وموارد هذه الناحية .وكانت الإتاوة التي يقدمها الباشا لك إلى الباب العالي تبقى ثابتة ،ولكن المبالغ التي يجيبها الباشوات من المناطق ، كانت تتغير طبقا للظروف ،ولدرجة جبروت الباشوات أو لأهوائهم [1].

لقد ظلت سلطة الأمراء والحكام المحليين ،ولاسيما في لبنان على ما كانت عليه قبلا ،فقد كانوا مستقلين في شؤونهم الداخلية في تمام حريتهم ،لا يرجعون إلى الدولة إلا في الأمور الكلية الكبرى ، ولاسيما في عهد الأمراء التنوخيين ،والمعنيين ،والشهابيين ،واللمعيين ،وبني عساف وغيرهم ،فكان أولائك الأمراء ،والمشايخ من ورائهم يقضون بين الناس بحسب مشيئتهم ومنازعهم[2] .

وكانت سورية (بلاد الشام) خلال العهد العثماني قبل سنة 1839م ،مقسمة إداريا على الوجه التالي :

1- ولاية سورية ومركزها دمشق .

2- ولاية حلب تضم انطاكية وإسكندرونة ،وألوية في الشمال معظم سكانها من الترك والأرمن.

3- ولاية طرابلس .

4- ولاية صيدا وتشمل بيروت وعكا .

---

[1] قسطنطين بازلي :المرجع السابق ،ص 28 .

[2] بولس مسعد : المصدر السابق ، ص 5 .

5- متصرفية القدس مركز إدارة فلسطين المرتبطة مباشرة بالعاصمة .

6- المقاطعات ذات الامتياز الإداري ،وقد نالته بحكم الأمر الواقع منذ قدم سورية بعد الفتح الإسلامي ؛من أمراء وإقطاعيين ومشايخ محليين ،فكان التنوخيون في اللاذقية ،وبنو سيفا والأيوبيون في شمال طرابلس ،آل حرفوش في بعلبك وجوارها ،والشيخ ضاهر العمر في بلاد صفد وعكا وبعض فلسطين ،والأمراء المعنيون والشهابيون وغيرهم في لبنان [1].

وقد كان الحكم في سوريا أقرب إلى الحكم المباشر ،أما في لبنان كان خاضعا لعصبيات عائلية، وسلالات الأمراء المحليين .وقسمت الولاية (الإيالة) إلى وحدات إدارية صغيرة ؛سميت كل واحدة منها سنجقا أو لواء ،وعرفت إدارة السناجق أشكالا مختلفة من الأساليب ،طبقت معظمها في بلاد الشام. وسمت الدولة العثمانية على إدارة الولاية وال أو بكلريكي ،ولم تسمع له بالبقاء مدة طويلة حتى لا يقوى مركزه ،فمثلا توالى على ولاية دمشق 133 وال في أول 180 سنة [2].

3- سياسة الحكم العثماني في مصر :

لم ينزع السلطان العثماني سليم الأول الحكم من أيدي الأمراء والحكام ،الذين كانوا يتولون البلاد المصرية ،لئلا ينتفضوا عليه ويثوروا ضده ،فاقر أكثرهم على في ولاياتهم وأقطاعاتهم ،بعد أن فرض عليهم جزية قليلة ،فترك للمماليك في مصر بيكاتهم الأربعة والعشرين ،وهي الإقطاعات التي كانوا يحكمونها بأمر ملوكهم .إلا أنه وضع لها نظاما مماثلا لنظام الولايات العثمانية ،وأطلق عليها اسم سنجق .ولم يقض في وادي النيل إلا على سلطة

---

[1] يوسف الحكيم :المرجع السابق ،ص ص 16-17 .

[2] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ،ص ص 20-21 .

المماليك العليا .وجعل خير بك نائبا له في مصر مكافأة له على انحيازه إليه في حربه مع طومان بك [1].

وعند تولي السلطان سليمان القانوني الحكم في سنة 1520م ،وضع قانون يحدد الهيكل الإداري لكل إقليم عثماني ،فلقب في الغرب باسم القانوني .وقد أشاد المؤرخ المصري الجبرتي بإصلاحاته القانونية والإدارية بقوله :((**أسس القواعد وتمم المقاصد ،ونظم الممالك ،وأنار المحالك ،ورفع منار الدين ،وأخمد نيران الكافرين ...ولم تزل البلاد (أي مصر) منتظمة في سلكهم ،ومنقادة تحت حكمهم من ذلك الأوان ،الذي استولوا عليها فيه ،إلى هذا الوقت الذي نحن فيه**)) [2].

وقد سنت مسودة أول دستور محلي في مصر في سنة 1525م ،وقد قدم إبراهيم باشا الصدر الأعظم للسلطان سليمان المدونة القانونية ،بوصفها جزءا محوريا من مهمته الهادفة إلى إعادة بسط سلطة سليمان القانوني على مصر .وتحدد الوثيقة الاطار الإداري على جميع المستويات حتى مستوى القرية ،وتبين مسؤوليات ذوي المناصب المتعلقة بالحفاظ على الأمن ،وصيانة نظام الري ،وجباية الضرائب ،وتوضح القواعد التي تحكم مسح الأراضي ،والأوقاف ،وصيانة مخازن الحبوب ،وإدارة الموانئ البحرية .بل تحدد عدد الاجتماعات التي ينبغي للوالي عقدها مع مجلس الدولة الاستشاري ، وهي أربعة اجتماعات أسبوعيا [3].

---

[1] بولس مسعد :المصدر السابق ، ص 9 .

[2] نقلا عن : يوجين روجان :المصدر السابق ، ص 39 .

[3] يوجين روجان :المصدر نفسه ، ص ص 39-40 .

وقد أكثرت السلطة العثمانية من تغيير الولاة ،فحكم بعض الولاة أقل من شهر ،فحكم مصر سبعة وعشرون (27) واليا خلال القرن الأول (1517-1591) ،منهم اثنان حكموا ثلث المدة [1].وكان الحكم في مصر حكما ذاتيا ؛يسيطر عليه بكوات المماليك فتوالى على حكمها مئة وال (100) في مدة 280 سنة[2].

ومن جهة أخرى فقد ترك العثمانيون في القاهرة الأرستقراطية المملوكية المحلية مستمرة في بقائها، وقد تحصنت بقوة داخل الحكومة وفي استثمار الريف ،وقد نمى في البلاد نظام ثلاثي يسعى أطرافه إلى السيطرة على السلطة ،وعلى المغانم التي تحققها ،ويضم الباشا (الوالي) المعين من قبل الباب العالي والانكشاريين ،الذين يسيطرون على العاصمة ،والبكوات الذين يحكمون الأقاليم .وانتهى الصراع بسيطرة البيوتات المملوكية على الحياة السياسية في مصر منذ القرن 18م ،إلى أن تستقل مصر عن الباب العالي مع عهد محمد علي باشا [3].

4- أما الحجاز والعراق واليمن :

فقد خلت هذه الولايات الكبيرة من التقسيمات الإدارية ،فكانت اليمن ولاية وكذلك الحجاز ثم أنشئت ولاية جديدة فيما بعد ؛هي ولاية جدة ،في حين حافظت الدولة العثمانية على الأوضاع التاريخية القديمة والعائلات الحاكمة ؛ولاسيما في شمال العراق ،كما اعترفت بشيوخ العشائر البدوية أمراء على عشائرهم ،فكانوا يتمتعون بقسط كبير من الاستقلال .فتمتع شريف مكة والإمام الزيدي في اليمن ،باستقلال ذاتي وبصلاحيات واسعة ،وبخاصة شريف مكة الذي

---

[1] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 56 .

[2] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ، ص ص 20-21 .

[3] أندريه رايمون :المرجع السابق ، ص ص 30-31 .

كانت رتبته مساوية لرتبة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء)[1].أما العراق فقد كان يشمل أربع ولايات وهي :البصرة وبغداد والموصل ، وشهر زور في المناطق الكردية [2].وقد اقتصرت واجبات الدولة على تنظيم استثمار الثروة ، واتخاذ الإجراءات اللازمة لزيادتها وحمايتها ،باعتبار أنها تعود إلى السلطان العثماني ،ثم حفظ النظام وحماية الدولة من الخطر الخارجي بواسطة الجيش[3].

5- أما الجزائر وطرابلس وتونس :فقد كان النظام الإداري فيها شبيها بباقي الولايات العربية .

ومما سبق يمكن القول أنه لم يحدث العثمانيون تغييرات جذرية في النظام الإداري عند ضمهم للبلاد العربية ،بل حافظوا على نفس التنظيمات ،التي وجدوها قبلهم ،فتركوا التقسيمات الإدارية ،والأسر ،والقادة ،والمشايخ ،الذين كانت لهم امتيازات قبلهم .لكنهم أدخلوا بعض التعديلات التي كانت موجودة في الولايات العثمانية الأخرى ،حتى يضمنوا ولاء المنطقة لهم .

---

[1] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 55 .

[2] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص34 .

[3] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 55 .

المحاضرة الرابعة عشر: المسألة الشرقية وأثرها على الدولة العثمانية :

الإشكالية : ماهي الأسباب والعوامل التي ساهمت في ضعف الدولة العثمانية ؟وكيف ساهمت المسألة الشرقية تفكيك ؟.

1- تعريف المسالة الشرقية :

اتفق الكتاب على تعريف المسالة الشرقية بأنها النزاع القائم بين بعض الدول الأوربية والدولة العثمانية ،بخصوص البلاد الواقعة تحت سلطان الدولة العثمانية ،أي ممتلكاتها الواقعة في القارات الثلاث :أوربا وأسيا ،وأفريقيا ،وذلك بسبب أطماع الدول الأوربية في تلك الممتلكات ،لذلك دارت بين الطرفين حروب كثيرة منذ توسع الدولة العثمانية في أوربا وظهورها كإمبراطورية مترامية الأطراف وكانت ممتلكات الدولة العثمانية من أحسن البلاد وأغناها ،لذلك عزمت الدول الأوربية على إخراجها من تلك المناطق وتقسيمها والاستيلاء على أجزائها [1].

لقد جاء اتساع الدولة العثمانية نتيجة استيلاء الأتراك العثمانيين في الفترة ما بين القرن الرابع عشر وبداية القرن التاسع عشر ،على أجزاء كبيرة من البلقان والمشرق الإسلامي ،والمغرب الإسلامي ،وبذلك ضمت الإمبراطورية العثمانية في بنيتها العديد من بلاد وشعوب متباينة ،في مراحل نموها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ،فضلا عن تباين هذه البلاد والشعوب فيما بينها من الناحية الدينية والعرقية [2].

---

[1] كامل مصطفى : **المسألة الشرقية** ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة 2012 ،ص ص 9-20 .

[2] نينل الكسندروفنا دولينا : **الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر** ،ترجمة :أنور محمد إبراهيم ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة 2002 ،ص 03 .

بدا واضحا لدى أن الإمبراطورية العثمانية ،أخذت في التخلف منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر عن الدول الأوربية المتقدمة ،التي بدأت فيها الرأسمالية تتطور بخطى متواثبة ،وما لبثت الإمبراطورية العثمانية تتعرض لهزائم منكرة في حروبها ،في الوقت الذي تعاظمت فيه حركات التحرر الوطني داخل الشعوب المنضوية داخلها ،واشتدت نزعات الاستقلال لدى الحكومات الإقليمية التابعة لها .لقد أدى ضعف الإمبراطورية العثمانية والتعقيدات بداخلها ،إلى زيادة حدة صراع الدول الأوربية من أجل إخضاعها اقتصاديا ،والتقسيم الإقليمي تركتها ،وظهر ذلك بشكل حاد على الساحة ،وهو ما عرف بالمسألة الشرقية ،التي جذبت اهتمام الأوربيين نحوها ،وخاصة في ثورة اليونان ،والمسألة المصرية [1].

2- مراحل المسألة الشرقية :

2.1- الحرب الروسية – العثمانية خلال الفترة (1768-1775) :

وقعت هذه الحرب في عهد السلطان عبد الحميد الأول (1773-1788) ،فقد أرسلت روسيا قوة كبيرة إلى مدينة فارنا على البحر الأسود ،وانتصر الروس على العثمانيين ،فطلب العثمانيون الصلح وعقدت المعاهدة في كينارجه (قينارجه) ببلغاريا [2].لقد أضرت هذه الحرب بالدولة العثمانية بتوقيع العثمانيين لمعاهدة كوجاك كينارجيه في 1774م ،وتنازلت بموجبها الدولة العثمانية عن الكثير من أراضيها لروسيا منها بلاد القرم [3].

---

[1] نينل الكسندروفنا دولينا : المرجع السابق، ص 03 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق ،ص 123 .

[3] كامل مصطفى : المرجع السابق ، ص ص 21-120 .

كانت معاهدة كوجاك كينارجه من اقسى وثائق التاريخ العثماني ،فقد كانت الأساس الذي بنيت عليه المعاهدات ،التي عقدتها الدولة العثمانية مع روسيا ،وأعطت لروسيا حق التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ،وحق الإتجار الحر في الموانئ الإسلامية .وحققت روسيا من وراء المعاهدة ما تريد ،غير أنها كانت تطمع للمزيد ،وتعمل على إثارة الفتن في منطقة البلقان ضد الدولة العثمانية ،وأشعلت الفتن في القرم ،وكانت تتحين الفرص لإثارة الفتن في الدولة العثمانية ؛لذلك أعلنت عليها الدولة العثمانية في سنة 1785م ،وتحالفت روسيا مع النمسا غير أن الدولتين هزمتا أمام العثمانيين[1].وبذلك يمكن القول أن معاهدة كينارجه أثبت ضعف الدولة العثمانية ،ومن جهة أخرى فتحت المجال أمام أقاليم عثمانية أوربية للمطالبة بالاستقلال ،مثل الأفلاق والبغدان واليونان .

2.2- أزمة اليونان (حرب اليونان) :

قام اليونانيون ومعظمهم نصارى ارثوذكس بثورة ضد الدولة العثمانية ،بتحريض من روسيا والنمسا والجمعيات السرية ،فكلف السلطان محمود الثاني والي مصر محمد علي باشا بالقضاء عليها ،فسارت جيوش محمد علي بقيادة ابنه إبراهيم باشا إلى شبه جزيرة المورة ،وقضى على ثورة اليونانيين ،وفتح مدينة نافرين ودخل العثمانيون مدينة أثينا في سنة 1826م ،لكن الدول الأوربية لم يعجبها ذلك ،وطالبت من إبراهيم باشا الانسحاب من اليونان ،لكن الدولة العثمانية اعتبرت ذلك تدخلا في شؤونها الداخلية ،فتحالفت الأساطيل الأوربية المسيحية ضد الدولة

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق ، ص ص 123-125 .

العثمانية ،ووقعت الحرب بين الطرفين وتحطم الأسطولين العثماني والمصري ،فأمر محمد علي ابنه إبراهيم باشا بالانسحاب[1].

وقد انتهت أزمة اليونان سنة 1827م باستقلال اليونان عن الدولة العثمانية بعد أن تحالفت الأساطيل الأوربية المسيحية ضد الدولة العثمانية في موقعة نافرين [2].

2.3- الأزمة المصرية :

حدثت بين والي مصر محمد علي باشا والدولة العثمانية ،في سنة 1832م، كان الباب العالي قد عين محمد علي باشا واليا على مصر في سنة 1805م ،فاصبح الحاكم المطلق لمصر ،فانفرد بخيراتها واستقل عن الدولة العثمانية ،فتقرب من الدول الأوربية ،وارتبط بها بعلاقات تجارية ودبلوماسية وثقافية ،وخاصة فرنسا ،واستغل عائدات البضائع في بناء جيش منظم وأسطول بحري قوي ،وكان جيشه مدرب على الطريقة الأوربية ،وخاصة الفرنسيين .بدأ محمد علي في التمرد على السلطان العثماني تدريجيا ،فقد وعد السلطان محمود الثاني محمد علي بمنحه أقاليم سوريا وكريت ؛مقابل دعم الدولة العثمانية في القضاء على ثورة اليونان ،ولكن بعد هزيمة الجيش العثماني في نافرين سنة 1827م ،انسحب الأسطول المصري من المورة دون إذن السلطان العثماني ،كما أن محمد علي لم يقدم العون للسلطان في الحرب العثمانية الروسية 1828-1829م ،وبعد توقيع صلح أدرنه سنة 1829م بين روسيا والدولة العثمانية ،منح السلطان محمود الثاني محمد علي باشا جزيرة كريت فقط [3].

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق ، ص 130 .

[2] كامل مصطفى : المرجع السابق ، ص ص 21-120 .

[3] نينل الكسندروفنا دولينا : المرجع السابق ، ص ص 28-29 .

تحرك جيش محمد علي بقيادة ابنه إبراهيم باشا للاستيلاء على بلاد الشام بحجة أن والي عكا عبد الله باشا قد أوى الفلاحين المصريين ،الذين فروا من الخدمة العسكرية ،فاستولى على عكا في ماي سنة 1832م ،ثم دمشق التي فرّ واليها ،ثم حمص وحلب ،وبعد ذلك توجه إلى الأناضول وهزم الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم في ديسمبر سنة 1832م بالقرب من قونية .وفي جانفي سنة 1833م وقعت الدولة العثمانية عقد تحالف مع روسيا لمواجهة توسعات محمد علي باشا ،لذلك سارعت الدول الأوربية إنجلترا وفرنسا خوفا علة مصالحها من التهديد الروسي ،إلى التدخل والوساطة بين السلطان العثماني ووالي مصر محمد علي باشا ،وتم توقيع صلح كوتاهية في افريل سنة 1833م ،الذي اعترف فيه السلطان العثماني بسيطرة محمد علي على بلاد الشام ،ونصب عيها ابنه إبراهيم باشا حاكما عليها[1].

وفي سنة 1839م تأزم الموقف بين محمد علي والدولة العثمانية ،وبدأت الحرب بين الطرفين في سورية وانتهت بانتصار القوات المصرية في موقعة نصبين في سنة 1839م ،لكن الدول الأوربية خافت على مصالحها فتحالفت ضد محمد علي باشا ،وعقدت معاهدة لندن في سنة 1840م ،وتدخلت الأساطيل الأوربية في المتوسط وفرضت على محمد علي باشا إرجاع عن الأراضي ،التي سيطر عليها إلى الدولة العثمانية [2].وانتهت الأزمة في سنة 1840م بانفصال مصر عن الدولة العثمانية تحت حكم وراثي لمحمد علي باشا [3].

---

[1] أحمد هريدي علي : **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517-1882م)** ،جامعة الإسكندرية ،جمهورية مصر العربية 1999 ، ص ص 389-391 .

[2] أحمد هريدي علي : المرجع نفسه ، ص ص 391-394 .

[3] كامل مصطفى : المرجع السابق ، ص ص 21-120 .

2.4- حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا في سنة 1856م :

عندما احتلت الجيوش الروسية مقاطعتي الأفلاق والبغدان (رومانيا حاليا) ،التابعتين للدولة العثمانية ،لذلك تحالفت فرنسا وإنجلترا مع الدولة العثمانية خوفا على مصالحهما في الدولة العثمانية ،وانتهت الحرب بهزيمة روسيا ،ولكن نتائجها لم تكن في صالح الدولة العثمانية ،فقد حصلت الدول الأوربية على حرية الملاحة في المضايق العثمانية [1].وتم عقد معاهدة باريس في سنة 1856م ،والتي نصت على النقاط التالية :

1- تخلى المناطق التي احتلت أثناء الحرب من كلا الطرفين ،ويطلق سراح الأسرى ويصدر العفو العام عن جميع الذين تعاونوا مع خصوم دولهم .

2- تطلق حرية الملاحة في البحر الأسود لجميع الدول ،ولا تنشأ فيه قواعد بحرية .

3- تطلق حرية الملاحة في نهر الدانوب .

4- تبقى الأفلاق والبغدان تحت حماية الدولة العثمانية .

5- تبقى الصرب مرتبطة بالدولة العثمانية ،ولها استقلال ذاتي[2].

ولكن سرعان ما ساعدت الدول الأوربية الأقاليم العثمانية الأوربية على الانفصال ،كالأفلاق والبغدان ،والجبل الأسود والصرب وغيرها .

وقد أخذت المسألة الشرقية تظهر على حقيقتها من خلال العمل الدبلوماسي الأوربي ،الذي أعقب الحرب العثمانية-الروسية سنة 1877 - 1878 ،والذي أدى إلى إضعاف الدولة العثمانية ،فقد أجبرت روسيا الدولة العثمانية على توقيع اتفاقية سان ستيفانو ،التي فرضت

---

[1] كامل مصطفى : المرجع السابق ، ص ص 21-120 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق ، ص ص 135-136 .

سيطرة روسيا على منطقة البلقان ،لذلك سارعت القوى الأوربية إلى عقد مؤتمر برلين سنة 1878م ،الذي اعترف باستقلال صربيا ،والجبل الأسود ،ورومانيا ،وبلغاريا [1].

ومما سبق يمكن القول أن المسألة الشرقية بمختلف أزماتها ومراحلها فقد أدت إلى ضعف الدولة العثمانية ،وكشفت مدى الانحطاط الذي وصلت إليه ،لذلك سارعت الدول الأوربية إلى تفكيكها وتقسيم ممتلكاتها ،وذلك بعد إجماع الدول الأوربية على عقد مؤتمر برلين في سنة 1878 ،وتم الاتفاق في جلساته على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين القوى الكبرى.

---

[1] دونالد كواترت :المرجع السابق ،ص ص 120-121 .

المحاضرة الخامسة عشر : مرحلة الانحطاط ونهاية الدولة العثمانية :

الإشكالية : ماهي الأسباب والعوامل التي ساهمت في انحطاط قوة الدولة العثمانية ؟وكيف أدى التدخل الأجنبي في شؤون الدولة العثمانية إلى إنهاء وجودها ؟.

1- مرحلة ضعف الدولة العثمانية وتقهقرها :

بدأت مرحلة انحدار الدولة العثمانية ،وتراجع قوتها مع نهاية القرن السادس عشر ،منذ هزيمتهم في معركة ليبانت في سنة 1571م ،كما خاض العثمانيون عدة حروب خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1578م و1606م ،مع الصفويين في الشرق ،وآل هبسبورغ في أوربا الوسطى ،إضافة إلى حروبهم المتكررة مع الروس ،فقد فقدت الدولة العثمانية الكثير من الأراضي في أوربا بسبب إنهاكها من طرف الصفويين في الشرق ،وحروبها مع الأوربيين في الغرب[1] .

فقد بدأت الدولة العثمانية تسير تدريجيا نحو الضعف ابتداء من القرن 17م ،وبدأت الدول الأوربية تتدخل في شؤونها الداخلية ،وتقتطع أجزاء من أراضيها ،وظهر ذلك جليا في معاهدة كارلوفيتز سنة 1699م ،فكانت أول معاهدة سياسية تتنازل فيها الدولة العثمانية عن أجزاء من أراضيها ،فتنازلت عن هنغاريا للنمسا ،وشبه جزيرة المورة للبندقية ،وعت بحر أزوق لروسيا .وتواصلت هزائم الدولة العثمانية أمام روسيا التي فرضت عليها معاهدة كوجاك كينارجة المهينة سنة 1774م .ويمكن تفسير الضعف ،الذي آلت إليه الدولة العثمانية إلى العوامل التالية [2]:

---

[1] خليل اينالجيك :المرجع السابق ،ص ص 69-70 .

[2] الغالي غربي :المرجع السابق ،ص ص 200-208 .

1- الفساد الإداري ،فقد انتشرت الرشوة في كل مجالات الدولة ،وشاع بيع وشراء المناصب في الدولة ،وسيطرة غير الأكفاء على المناصب الرفيعة السياسية والعسكرية والقضائية والثقافية .

2- ضعف السلاطين ،الذين جاءوا بعد سليمان القانوني (1520-1566) ،ضعف شخصيتهم ،وافتقارهم للحنكة السياسية ،واشتغالهم بالملذات ،وزواجهم بالأجنبيات ،وانسحابهم من قيادة الجيش العثماني .

3- الانهيار الاقتصادي للدولة العثمانية ،بسبب اعتماده على أسس قديمة وعدم تطوره ،ليتماشى مع التطورات الاقتصادية الأوربية والعالمية ،وعدم حماية اقتصادها من المنافسة الأوربية ،مما ولد أزمات اقتصادية ومالية انعكست سلبا على رعايا الدولة .

4- الامتيازات الأجنبية ،التي منحها السلاطين العثمانيون للدول الأجنبية ،وقد ظهر خطرها في مرحلة ضعف الدولة ابتداء من القرن 18م ،فراح الأوربيون يستغلون الامتيازان الممنوحة ،ويتدخلون في شؤون الدولة العثمانية ،حتى سيطروا مناطق كثيرة وأقاليم بحجة حماية مصالحهم .وقد تنوعت الامتيازات من الاقتصادية إلى السياسية والدينية .

5- تدهور المؤسسة العسكرية العثمانية ،تحول الانكشارية من وسيلة حماية للدولة وأداة لتحقيق توسعات العثمانيين ،إلى معول هدم للدولة ،بسبب تدخلهم في الشؤون السياسية ،وضغوطهم على السلاطين ،ونظرا لتهور اقتصاد الدولة ،زدت أزماتها بسبب ضغط وتمرد الانكشارية المطالبين برواتبهم وحقوقهم المالية ،مما أرهق اقتصاد الدولة العثمانية وخزينتها .

ومع نهاية القرن الثامن عشر كانت الدولة العثمانية[1]،قد بدأت في الانحدار والتقهقر أمام هجمات الدول الغربية المستعمرة ،وبدأت الهزائم والخسائر تتوالى عليها من كل جانب ،حتى بلغ بها الوهن والضعف مبلغا شديدا ؛ولاسيما في مجالات العلم والمعرفة ،حيث تعثرت الحياة الثقافية ؛فلم تعرف إضافات جديدة في ميادين الفكر والثقافة .في حين أن أوربا أثبتت تفوقها في مختلف الميادين الفكرية ،والصناعية والزراعية ،وكانت ترتقي يوما بعد يوم في الفنون الحربية ،والنظم الإدارية ،مما جعل الدولة العثمانية في ذلك الوقت ؛تفكر في إيجاد طريقة ناجحة ،تتمكن بها من اللحاق بالدول الغربية في الرقي والتقدم ؛كي تستطيع الوقوف في وجهها وصد هجماتها المتوالية ،فرأت أن الطريق السليم ، هو العمل على إصلاح الدولة العثمانية في مرافقها الداخلية [2].

2- حركة الإصلاح العثمانية (التنظيمات):

لما تولى السلطان سليم الثالث (1762-1808) ،عمل على إصلاح أمور الدولة الداخلية ،وخاصة العسكرية والبحرية وتحديثها ،ولكن الانكشارية قاموا بقتله ،ثم تواصلت حركة الإصلاح في عهد السلطان محمود الثاني (1785-1839) ،فعمد إلى الإصلاحات الإدارية والعسكرية ،وقضى على الانكشارية ،وأنشأ جيشا جديدا على النمط الأوربي الحديث ،ولما تولى السلطان عبد المجيد الأول (1822-1861) ،واصل إصلاحات والده ،اصدر أول دستور للبلاد ،واصدر التنظيمات المعروفة بخط كلخانة سنة 1839م ،التي عرفت بالتنظيمات الخيرية ،ثم

---

[1] لمعرفة كل المصطلحات المتعلقة بالتاريخ العثماني ،ينظر :سهيل صابان :**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار القاسم ،ط1 ،الرياض 1421هـ / 2000 .

[2] سليمان بن صالح الخراشي : **كيف سقطت الدولة العثمانية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار القاسم ،ط1 ،المملكة العربية السعودية 1420هـ ،ص 13 .

اصدر في سنة 1856م تنظيمات خط همايون وهو عبارة عن إصلاحات مكملة لخط كلخانة ،ثم تواصلت الإصلاحات إلى أن حل عهد السلطان عبد الحميد الثاني [1].

مرسوم خط كلخانة صدر في سنة 1839م في عهد السلطان عبد المجيد الأول ،يقضي بإحداث تغييرات في نظام الدولة العثمانية ،وأهم ما جاء فيه :

1- ضرورة إيجاد ضمانات لأمن جميع رعايا الدولة العثمانية ،على حياتهم وشرفهم وأملاكهم .

2- ضرورة إيجاد نظام ثابت للضرائب .

3- ضرورة توفير نظام ثابت للجندية بحيث لا تستمر مدى الحياة ،بل تحدد مدتها بفترة تتراوح ما بين أربع وخمس سنوات .

وقد اكد المرسوم لأول مرة المساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية أمام القانون ؛لذا فقد رفضه المسلمون والمحافظون [2].

وقد صدر أيضا في عهد السلطان عبد المجيد الأول مرسوم خط همايوني في سنة 1856م بعد حرب القرم ،وقد أكد على الضمانات السابقة الموجهة للأوربيين ،وأضاف نقطة مهمة وهي عدم تطبيق عقوبة الإعدام على المرتدين عن الإسلام من رعايا الدولة العثمانية ،ومساواة جميع رعايا الدولة في الحقوق والواجبات .وبذلك فإن الدولة العثمانية بدأت تتخلى عن الشريعة الإسلامية ،مما أدى إلى ضعفها وانحلالها [3].

---

[1] سليمان بن صالح الخراشي :المرج السابق ،ص ص 11-19 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق ، ص 136 .

[3] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع نفسه ، ص 137 .

وقد أدت الإصلاحات إلى عدة أثار ونتائج ،ونذكر منها [1]:

1- تراجع دور طبقة العلماء في الحياة السياسية في المجتمع العثماني ،وخاصة صلاحيات القاضي ،الذي تقلصت مهامه الشرعية ،وانحسرت صلاحياته في النظر في الأحوال الشخصية للمسلمين العثمانيين .

2- ترسيخ الامتيازات الأجنبية ،وتوسعها في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ،والتي استفادت منها فئات الرعايا غير المسلمين في الدولة العثمانية .

3- رغم الحقوق والامتيازات التي قدمتها الدولة العثمانية للرعايا غير المسلمين ،إلا أن الدول الأوربية ظلت تتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ،بحجة حماية الطوائف المسيحية .

4- كانت التنظيمات والإصلاحات العثمانية ،بمثابة اعتراف للدولة العثمانية بالمساواة بين الرعايا العثمانيين في الحقوق المدنية والاجتماعية .

5- طبقت الدولة العثمانية الكثير من التزاماتها الواردة في التنظيمات الإصلاحية ،اتجاه الرعايا غير المسلمين ،والتي استفاد منها اليهود والمسيحيون ،الذين اصبحوا يتمتعون بحريات كبيرة في الملكية .

3- عهد السلطان عبد الحميد الثاني :

تولى الخلافة في سنة 1876م في مرحلة ضعف الدولة العثمانية ،فخارجيا ثارت الكثير من الأقاليم العثمانية في أوربا ،وخاضت الدولة عدة حروب خاصة مع روسيا ،واتفقت الدول الغربية على تقسيم ممتلكاتها (الرجل المريض) ،أما داخليا فالخزينة أفلست وارتفعت قيمة ديونها

---

[1] الغالي غربي : المرجع السابق ، ص ص 164-165 .

الخارجية ،ونشطت الجمعيات والنوادي النصرانية والقومية داخل الدولة ،مثل جمعية تركيا الفتاة القومية ،وزاد دور اليهود داخل الدولة وعملوا على إسقاط الخلافة الإسلامية .حاول عبد الحميد الثاني الوقوف في وجه هذه التيارات عن طريق دعوة المسلمين إلى الالتفاف حول فكرة الجامعة الإسلامية ،وحاول إصلاح الدولة ،لكنه فشل بسبب القوى الداخلية والخارجية ،إلى أن تم خلعه بالقوة سنة 1913م [1].

فقد تولى السلطان عبد الحميد الخلافة في وقت كانت الدولة غارقة في الديون ،التي بلغت 2،5 مليار ليرة عثمانية ،واستقدم الخبراء الماليين الأوربيين لحل الأزمة المالية ،لمواجهة تحديات الدول الأوربية ،لكنه فشل في ذلك .ويعتبر السلطان عبد الحميد من أعظم سلاطين الدولة العثمانية في عصر الانحطاط ،وقد قام بأعمال جليلة وخدمات في مجالات مختلفة من أجل إنقاذ الدولة من الانحطاط والانهيار ،إلا أن الظروف والتآمر الدولي والصهيوني والقومي ،حالت دون نجاح مشروعه الإصلاحي ،وأطاحت بحكم[2].

ذلك أنه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني شهدت الدولة العثمانية بروز حركة علمانية وقومية تركية في آن واحد ؛تمثلت في جمعية الاتحاد والترقي وجناحها السياسي تركيا الفتاة ،التي كانت تؤمن بضرورة الاعتماد على العنصر التركي اعتمادا رئيسا ،وفصل الدين عن الدولة ،وإضعاف العنصر العربي خاصة ،والإسلامي عامة ،بتشجيع من اليهود والأتراك

---

[1] ترك السلطان عبد الحميد الثاني مذكراته ،ضمنها الظروف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية في أيامه ،وحالة الضعف الداخلي للدولة ،والتهديدات الخارجية الأوربية في تلك الفترة ،وإفشالها لمحاولات الإصلاح المتكررة التي قام بها العثمانيون .ينظر:السلطان عبد الحميد الثاني :**مذكراتي السياسية 1891-1908** ،تحقيق :إحسان حقي ،مؤسسة الرسالة ،ط3 ،ابيروت 1996 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق ، ص 184 .

والحركة الماسونية ،وجماعة اليهود الدونمة ،الذين كانوا اعتنقوا الإسلام ظاهريا ،وبقوا على يهوديتهم سرا [1].

حكم السلطان عبد الحميد الثاني أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ،وأخّر سقوط الدولة العثمانية ثلث قرن من الزمن ،فبعد إعلان دستور 1908م ،استطاعت جمعية الاتحاد والترقي التغلغل في الحكم ،ولما خلع السلطان عبد الحميد الثاني في سنة 1913م [2].

4- نهاية الدولة العثمانية :

قد ساهمت عدة عوامل تظافرت كلها ،في نهاية الدولة العثمانية وسقوطها ؛والتي يمكن إجمالها في العناصر التالية [3]:

1- الامتيازات الأجنبية ،والتي منحها السلاطين العثمانيون للدول الأجنبية ،والتي بدأت مع السلطان سليمان القانوني ،الذي منح امتيازات كثيرة للفرنسين والإيطاليين والإنجليز ،وقد بدأت الامتيازات بسيطة في الداية ،لكن نجم عنها مشاكل وتعقيدات كثيرة في مرحلة ضعف الدولة العثمانية .

2- حروب الدولة العثمانية مع المسيحية للدول الأوربية ،والتي لم تنقطع منذ ظهور الدولة العثمانية ،والتي منها على سبيل المثال :الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م ،والتحالف الأوربي المسيحي في معركة نافرين سنة 1827م ،والحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م ،والحملات الروسية المتكررة منذ سنة 1699م وغيرها .

---

[1] حسان حلاق :المرجع السابق ،ص 45 .

[2] محمد الطاهر عبد الباري: المرجع السابق ،ص ص 151-155 .

[3] سليمان بن صالح الخراشي :المرجع السابق ،ص ص 11-19 .

3- فساد الجيش الانكشاري ،وهو الجيش الذي أنشأه السلطان أورخان من أبناء البلاد الأوربية المفتوحة ،بعد تربيتهم تربية إسلامية وتدريبهم على الحروب والقتال .وقد قام الجيش الانكشاري بدور هام في حماية الدولة العثمانية ،وتحقيق الانتصارات ضد الدول المسيحية ،ومع مرور الوقت بدأ الوهن يتسرب إلى صفوف الانكشارية ،بعد تدخلهم في الحياة المدنية والسياسية ،فعاثوا فسادا في الدولة العثمانية ،مما أدى إلى تصفيتهم من طرف السلطان محمود الثاني .

4- خيانة بعض الوزراء والموظفين في الدولة العثمانية ،الأجانب المسيحيين ،الذين تظاهروا بالإسلام ،وعملوا على إضعاف الدولة العثمانية ونخرها من الداخل .

5- مشكلة الديون التي أقرضتها الدول الأوربية للدولة العثمانية ،من أجل القيام بالإصلاحات المتكررة ،وقد زادت فوائد الديون بسبب كثرة الإنفاق ،مما تسبب في أزمة مالية واقتصادية للدولة العثمانية .

لقد تعاونت الحركة العلمانية في الدولة العثمانية ،وجمعية الاتحاد والترقي ،والحركة الصهيونية ويهود الدونمة ،والقوى الأجنبية الأوربية ،وعملوا على خلع السلطان عبد الحميد الثاني في سنة 1909م ،لأنه رفض إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ،ورفض عروض وإغراءات الصهيوني ثيودور هرتزل ،الذي نصح قبل وفاته سنة 1904م بضرورة خلع السلطان عبد الحميد الثاني .وقد استطاعت القيادات العلمانية تولي القيادة السياسية والعسكرية في استانبول ،وبدأت في تحقيق مآربها .وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1919) ،فصلت الولايات العربية عن الدولة العثمانية ،وخضعت للدول الأوربية ،ظهرت تركيا كدولة علمانية ،وتم إلغاء الخلافة الإسلامية في سنة 1924م عندما تولى الديكتاتور مصطفى كمال

أتاتورك السلطة في تركيا ،الذي عمل على فصل تركيا عن العالم الإسلامي بشكل تام ،ومن قراراته وممارساته [1]:

1- إلغاء الخلافة الإسلامية .

2- إلغاء الحجاب بالقوة وفرض السفور.

3- إلغاء اللغة العربية والحرف العربي ،واستبداله بالحرف اللاتيني .

3- منع تلاوة القرآن ومنع الأذان في المساجد.

4- إقصاء الشريعة الإسلامية عن الدولة ومؤسساتها.

5- تبني واعتماد أنظمة التعليم العلمانية. وتبني الأنظمة والقوانين المدنية.

6- إلغاء التقويم الهجري واعتماد التقويم الجريجوري منفردا .

7- جعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد بل يوم الجمعة .

8- تحويل جامع آيا صوفيا وجامع محمد الفاتح إلى متحفين ومنع الصلاة بهما .

9- إذلال رجال الدين والعلماء المسلمين وإغلاق المدارس الدينية الإسلامية.

10- تقريب اليهود والقوى الأجنبية الأوربية .

ومما سبق يمكن القول أنه رغم المحاولات الإصلاحية المتكررة من طرف السلاطين العثمانيين، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل ،ولم تستطع الدولة العثمانية استعادة قوتها ،وهو ما أثر سلبا على ولاياتها وأوضاعها الداخلية ،فانتشرت الحركات الانفصالية والثورات الداخلية .إلى أن سقطت الخلافة العثمانية في سنة 1924م .

---

[1] حسان حلاق :المرجع السابق ،ص ص 45-47 .

الخاتمة:

وبعد دراستي لمختلف محاور مقياس الدولة العثمانية ،للسنة الثانية تاريخ عام السداسي الرابع ،استخلصت جملة من النتائج ،ادرجها في التالي:

1- تجمع الكتابات التاريخية أن القبائل التركية (العثمانيون لاحقا) ،قدمت من أواسط آسيا واستقروا بالأناضول ،وعملوا تحت سلطة إمارة السلاجقة المسلمين ،واعتنقوا الإسلام في عهد السلطان عثمان بن ارطغرل خلال القرن 14م، واصبحوا يعرفون بالعثمانيين.

2- زادت قوة العثمانيون بعد اعتناقهم للإسلام ،فحملوا لواء الجهاد وبدأت فتوحاتهم في الأناضول على حساب الإمبراطورية البيزنطية ،ففتحوا العديد من المدن.

3- تواصلت فتوحات العثمانيين وكان أهمها فتح القسطنطينية سنة 1453م في عهد السلطان محمد الفاتح ،وتواصلت في عهد خلفائه وخاصة في عهود سليم الأول وسليمان القانوني.

4- بعد وفاة السلطان سليمان القانوني (ت1566م)، بدأت الدولة العثمانية في مرحلة من الضعف بعد أن امتدت مساحتها إلى ثلاث قارات.

5- قامت الدولة العثمانية في عهد السلطان أورخان بتأسيس قوة عسكرية ؛تمثلت في الجيش الانكشاري الذي حمل على عاتقه بالقيام بكل الفتوحات في أوربا وآسيا وأفريقيا، وتم القضاء عليه في الموقعة الخيرين سنة 1826م.

6- بالإضافة إلى أسطول بحري قوي تعود بداياته إلى عهد السلطان محمد الفاتح، وعندما تحولت الدولة العثمانية إلى قوة بحرية في عهد السلطان سليم الأول الذي طوره ،تكفل الأسطول البحري العثماني بالمعارك البحرية خاصة في حوض البحر المتوسط .

7- انتقل العثمانيون مع بداية القرن 16م بتوسعاتهم من أوربا إلى المشرق العربي، نتيجة لعدة عوامل في مقدمتها التهديد الصفوي الشيعي للعالم الإسلامي السني ،والتحالف الصفوي المملوكي ،فوقعت بين الأطراف الثلاثة عدة معارك (جالديران ومرج دابق والريدانية)، كان الانتصار فيها حليف العثمانيين .

8- ضم العثمانيون كل البلاد العربية في المشرق من بلاد الشام سنة 1516م، ومصر سنة 1517م، والحجاز والعراق واليمن وكل الجزيرة العربية .

9- أما بالنسبة لبلاد المغرب العربي فقد ضمت الجزائر بعد استنجادها بالعثمانيين سنة 1519م ،ثم طرابلس الغرب سنة 1551م ،أما تونس فضمت بالقوة العسكرية سنة 1574م ،في حين بقي المغرب الأقصى خارج ممتلكات الدولة العثمانية.

10- قسم العثمانيون البلاد المنضوية تحتهم إلى ولايات (إيالات) منها البلاد العربية، وقد طبقوا فيها نظاما إداريا متشابها في كل الولايات ،ولم يحدث العثمانيون تغييرات جذرية في النظام الإداري عند ضمهم للبلاد العربية ،بل حافظوا على نفس التنظيمات ،التي وجدوها قبلهم ،فتركوا التقسيمات الإدارية ،والأسر ،والقادة ،والمشايخ ،الذين كانت لهم امتيازات قبلهم .لكنهم أدخلوا بعض التعديلات التي كانت موجودة في الولايات العثمانية الأخرى ،حتى يضمنوا ولاء المنطقة لهم.

11- أن المسألة الشرقية بمختلف أزماتها ومراحلها فقد أدت إلى ضعف الدولة العثمانية ،وكشفت مدى الانحطاط الذي وصلت إليه ،لذلك سارعت الدول الأوربية إلى تفكيكها وتقسيم ممتلكاتها.

12- من تولي السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة في سنة 1876م، وصلت الدولة العثمانية إلى مرحلة من الضعف، بسبب عدة عوامل داخلية بالإضافة إلى تكالب الدول الأوربية عليها، ولم يستطع السلطان الوقوف في وجه هذه الظروف.

12- رغم المحاولات الإصلاحية المتكررة من طرف السلاطين العثمانيين، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل ،ولم تستطع الدولة العثمانية استعادة قوتها ،وهو ما أثر سلبا على ولاياتها وأوضاعها الداخلية ،فانتشرت الحركات الانفصالية والثورات الداخلية .إلى أن سقطت الخلافة العثمانية في سنة 1924م .

بيبليوغرافيا مواضيع المحاضرات :

1- المصادر المراجع العربية والمعرّبة :

1- أوزتونا يلماز :**تاريخ الدولة العثمانية** ،ترجمة :عدنان محمود سلمان ،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ،استانبول تركيا 1988 .

2- أوغلو أوقاي ترياقي :**السلطان سليمان القانوني سيد العصر الرائع** ،ترجمة :عبد القادر عبد اللي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط1 ،أبوظبي 2013 .

3- أوغلى خليل ساحلي:**من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانين** ،مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ،استانبول 2000 .

4- اينالجيك خليل :**تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ،ترجمة :محمد .م .الأرناؤوط ،دار المدار الإسلامي ،ط1 ،بنغازي ليبيا 2002 .

5- بازلي قسطنطين : **سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني** ،ترجمة :طارق معصراني ،دار التقدم ،موسكو 1989 .

6- بتروسيان إيرينا :**الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** ،تقديم ومراجعة قسم الدراسات والنشر بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ،ومعهد الدراسات الشرقية المجمع العلمي الروسي (فرع سان بطرسبرغ) ،دبي 2006 .

7- بيضون جميل وآخرون :**تاريخ العرب الحديث** ،دار الأمل للنشر والتوزيع ،ط1 ،إربد ،الأردن 1991 .

8- التميمي عبد الجليل :**الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني** ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان 1988.

9- الجمعي عبد المنعم إبراهيم :**المشرق والمغرب العربي دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر** ،كلية الآداب جامعة الفيوم ،القاهرة 2013 .

10- الحكيم يوسف :**سورية والعهد العثماني** ،ط4 ،دار النهار للنشر ،بيروت 1991 .

11- حلاق حسان : **تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر** ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،ط1 ،بيروت 2000 .

12- الخراشي سليمان بن صالح : **كيف سقطت الدولة العثمانية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار القاسم ،ط1 ،المملكة العربية السعودية 1420هـ .

13- خير فارس محمد :**تاريخ الجزائر الحديث** ،مكتبة دار الشروق ،ط1 ،بيروت 1969 .

14- ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني : **المؤنس في أخبار افريقية وتونس** ، ط1، المطبعة التونسية ، تونس 1286هـ /1870م .

15- رئيسي إدريس الناصر: **العلاقات العثمانية-الأوروبية في القرن السادس عشر** ،دار الهادي ،ط1 ،بيروت لبنان 2007 .

16- رايمون أندريه :**المدن العربية الكبرى في العصر العثماني** ،ترجمة :لطيف فرج ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة 1991 .

17- رفعت بك محمد :**التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط** ،ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي ،مصر 1949 .

18- روجان يوجين :**العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر** ،ترجمة :محمد إبراهيم الجندي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،ط1 ،جمهورية مصر العربية 2011 .

19- شاكر محمود :**التاريخ الإسلامي –العهد العثماني-** ،المكتب الإسلامي ،ط4 ،بيروت ،دمشق ،عمان 2000 .

20- شعيب علي عبد المنعم :**التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر** ،دار الفارابي ،ط1 ،بيروت ،لبنان 2005 .

21- الشناوي عبد العزيز محمد: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط1 ،القاهرة 1980 ،ج1 .

22- الشيخ رأفت غنيمي :**التاريخ المعاصر للامة العربية الإسلامية 1412-1992** ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة 1992 .

23- الصباغ ليلى :**الجاليات الأوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر (العاشر والحادي عشر الهجريين)** ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ،بيروت 1989 .

24- عودة محمد عبد الله و الخطيب إبراهيم ياسين : **تاريخ العرب الحديث** ،الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن 1989 .

25- عمران محمود سعيد :**معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى** ،دار المعرفة الجامعية ،بيروت 1986 .

26- غربي الغالي :**دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2 ،الجزائر 2011 .

27- كامل مصطفى : **المسألة الشرقية** ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة 2012 .

28- كواترت دونالد : **الدولة العثمانية 1700-1922** ،ت عريب :أيمن الأرمنازي ،مكتبة العبيكان ،ط1 ،الرياض المملكة العربية السعودية 2004 .

29- المحامي محمد فريد بك : **تاريخ الدولة العثمانية العلية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار النفائس ،ط1 ،بيروت 1981 .

30- عبد الباري محمد الطاهر : **دولة الخلافة العثمانية قراءة في نشأتها ومظاهر حضارتها وعوامل سقوطها** ،زرقاء اليمامة للنشر والتوزيع ،الفيوم ،جمهورية مصر العربية بدون سنة نشر.

31- مسعد بولس :**الدولة العثمانية في لبنان وسورية حكم أربعة قرون 1517-1916** ،دار الكتب المصرية ،ط1 ،مصر 1916 .

32- منتران روبير :**تاريخ الدولة العثمانية** ،ترجمة :بشير السباعي ،دار الفكر للدراسات للنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية 1993 .

33- نينل الكسندروفنا دولينا : **الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر** ،ترجمة :أنور محمد إبراهيم ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة 2002 .

34- ياغي إسماعيل أحمد :**الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ،مكتبة العبيكان ،الرياض المملكة العربية السعودية 1995 .

2- المقالات بالعربية :

1- الدغيم محمد السيد :**أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية** ،في **الحضارة الإسلامية وعالم البحار**،ندوة عقدها الاتحاد في القاهرة 6-8 نوفمبر 1993 ،منشورات اتحاد المؤرخين العرب ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية 1993 .

2- سعيود إبراهيم :**القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة ،القرصنة الإيطالية نموذجا** ،في مجلة **الواحات للبحوث والدراسات** ،العدد 11 ،المركز الجامعي غرداية ،الجزائر 2011 .

3- عبد الرحيم عبد الرحيم عبد الرحيم : **النظم الإدارية العثمانية في البلدان العربية** ،في **مجلة الدارة** ،العدد الأول ،السنة التاسعة ،شوال 1403هـ .

3- المعاجم والأطالس:

1- أبو خليل شوقي :**أطلس التاريخ العربي الإسلامي** ،دار الفكر ،ط12 ،دمشق سورية 2005 .

2- صابان سهيل :**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار القاسم ،ط1 ،الرياض 1421هـ / 2000 .

4- الرسائل والمذكرات والأطاريح الجامعية :

1- بحري فائقة محمد حمزة عبد الصمد :**أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوربا** ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ،إشراف الأستاذ الدكتور

:يوسف علي رابع الثقفي ،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى بمكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية 1989 .

2- الجابري خالد محسن حسان :**الحياة العلمية في الحجاز في العصر المملوكي 648هـ-923هـ/1250م-1517م** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية ،إشراف الدكتور :مريزن سعيد مريزن عسيري ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية 1993 .

3- درويش الشافعي :**علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن 16م / 10هـ** ،مذكرة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث ،إشراف :أ.د عمار بن خروف ،قسم العلوم الإنسانية بالمركز الجامعي بغرداية 2010 / 2011 .

4- رمضان عبد الحميد أمال :**الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي 648هـ-923هـ/1250م-1517م** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ،إشراف الدكتور : عبد الله سعيد الغامدي ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية 2011 .

5- قاري ياسر بن عبد العزيز محود : **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية** ،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف :يوسف بن علي الثقفي ،قسم الدراسات العليا التاريخية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى بمكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية 2001 .

6- منصور درقاوي : **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 10هـ-13هـ و16م-19م بين التأثير والتأثر** ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف الدكتور: فغرور دحو ،كلية العلوم الإنسانية والإسلامية ،جامعة أحمد بن بلة بوهران ،الجزائر 2014-2015 .

7- الوذيناني خلف بن دبلان :**الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام 1327هـ/1909م** ،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث ،إشراف :أ.د عبد اللطيف عبد الله دهيش ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،قسم الدراسات العليا التاريخية والإسلامية ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة 1410هـ/1990م .

فهرس المحتوى:

مقدمة ..... ص 3

المحاضرة الأولى: أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية..... ص 5

1- أصل العثمانيين ..... ص 5

المحاضرة الثانية: أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية (تابع) ..... ص 9

1- تأسيس الدولة العثمانية ..... ص 9

2- عهد السلطان عثمان غازي ..... ص 10

3- عهد السلطان أورخان غازي ..... ص 10

4- عهد السلطان محمد الفاتح ..... ص 12

5- عهد السلطان بايزيد الثاني ..... ص 13

المحاضرة الثالثة: أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية (تابع) ..... ص 16

1- عهد السلطان سليم الأول ..... ص 16

2- عهد السلطان سليمان القانوني ..... ص 19

3- الدولة العثمانية بعد سليمان القانوني..... ص 20

4- المظاهر العامة للدولة العثمانية ..... ص 21

المحاضرة الرابعة: النظام السياسي للدولة العثمانية ..... ص 23

1- سياسة الحكم للدولة العثمانية ..... ص 23

2- ملامح السلطة في الدولة العثمانية..... ص 25

المحاضرة الخامسة: الجيش العثماني (الانكشارية والبحرية) ..... ص 29

1- الجيش العثماني ..... ص 29

2- الأسطول البحري العثماني ..... ص 32

3- القوات العسكرية في الولايات العثمانية ..... ص 33

المحاضرة السادسة: المجتمع والثقافة في الدولة العثمانية ..... ص 35

1- التنوع السكاني في الدولة العثمانية ..... ص 35

2- التسامح العرقي والمذهبي في الدولة العثمانية ..... ص 36

3- مكونات المجتمع داخل الدولة العثمانية ..... ص 37

المحاضرة السابعة: المجتمع والثقافة في الدولة العثمانية (تابع) ..... ص 38

1- وضعية التعليم في الدولة العثمانية ..... ص 38

2- فئة العلماء في الدولة العثمانية ..... ص 39

3- التنوع اللغوي للمجتمع في الدولة العثمانية ..... ص 39

4- انتشار التصوف في الدولة العثمانية ..... ص 40

المحاضرة الثامنة: التوسع العثماني في المشرق العربي ..... ص 42

1- الوضع السياسي العام للبلاد العربية قبل الفتح العثماني ..... ص 42

2- جذور الصراع العثماني المملوكي ..... ص 43

3- التنوع اللغوي للمجتمع في الدولة العثمانية ..... ص 39

المحاضرة التاسعة: التوسع العثماني في المشرق العربي (تابع) ..... ص 46

1- التهديد الصفوي الشيعي للعثمانيين ..... ص 46

2- معركة جالديران 1514م ونتائجها ..... ص 47

3- أسباب النزاع بين العثمانيين والمماليك ..... ص 48

المحاضرة العاشرة: التوسع العثماني في المشرق العربي (تابع) ..... ص 46

1- ضم العثمانيين لبلاد الشام ..... ص 52

2- ضم العثمانيين لمصر..... ص 55

3- ضم العثمانيين للحجاز..... ص 58

المحاضرة الحادية عشر: التوسع العثماني في المشرق العربي (تابع) ..... ص 60

1- ضم العثمانيين لليمن والجزيرة العربية ..... ص 60

2- ضم العثمانيين للعراق ..... ص 61

المحاضرة الثانية عشر: التوسع العثماني في المغرب العربي ..... ص 64

1- ضم الجزائر للدولة العثمانية ..... ص 64

2- ضم طرابلس الغرب للدولة العثمانية..... ص 65

3- ضم تونس الحفصية للدولة العثمانية..... ص 65

المحاضرة الثالثة عشر: النظام الإداري للبلاد العربية خلال العهد العثماني ..... ص 67

1- التقسيم الإداري العثماني للبلاد العربية..... ص 67

2- نظام الحكم العثماني في بلاد الشام ..... ص 68

3- سياسة الحكم العثماني في مصر ..... ص 70

4- الحجاز والعراق واليمن ..... ص 72

5- الجزائر وطرابلس وتونس ..... ص 73

المحاضرة الرابعة عشر: المسألة الشرقية وأثرها على الدولة العثمانية ..... ص 74

1- تعريف المسألة الشرقية ..... ص 74

2- مراحل المسألة الشرقية ..... ص 75

المحاضرة الخامسة عشر: مراحل الانحطاط ونهاية الدولة العثمانية ..... ص 81

1- مرحلة ضعف الدولة العثمانية وتقهقرها ..... ص 81

2- حركة الإصلاح العثماني (التنظيمات) ..... ص 83

3- عهد السلطان عبد الحميد الثاني ..... ص 85

4- نهاية الدولة العثمانية ..... ص 87

الخاتمة ..... ص 90

بيبليوغرافيا المحاضرات ..... ص 93

فهرس المحتوى ..... ص 100